٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

# فوائد شهر شعبان




كتبه الفقير إلى عفو ربه

**أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن**


## الجزء الثامن


الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ

ح خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر شعبان الجزء الثامن من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٣٢ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.- (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

**رقم الإيداع : ١٩٩٨٤ / ١٤٤٥**
**ردمك :٩-٤٤-٣٠٥-٠٣-٦٠٣-٩٧٨**


بسم الله الرحمن الرحيم





## إهــداء

إلى زوجتي وأبنائي الأوفياء الذين كان لهم الفضل بعد الله عز وجل بتشجيعي ودعمي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويرضي الله عز وجل.





## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القاري الكريم الجزء الثامن من كتاب " ٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يضم فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما يَنفع ويُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ. تمَّ تقسيمها على أيام السنة الهجرية بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كل يوم يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضله. وهذا الجزء مخصص لفوائد شهر شعبان، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة وحجة لكاتبه وقارئه وكل من أعان على نشره وتوزيعه.

**كتبه الفقير إلى عفو ربِّه**
**أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن**
**drkhalid63@gmail.com**
**الرياض**
**شهر شعبان ١٤٤٥هـ**



## فهرس فوائد شهر شعبان



# غرة شعبان

## فضْل شهر شعبان والأعمال المُستحَبَّة فيه

أنعم الله تعالى على عباده بمواسم مُعيَّنة لزيادة الأعمال والطاعات والعبادات فيها، والتقرُّب من الله تعالى، فتنال الأعمال فيها البركة ببركة الزمان التي حدثتْ فيه.

ومن الأزمان- التي كان يُكثِر فيها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم من العبادات والقُرُبات- شهر شعبان، فعن أمِّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أنَّها قالت:" لم يكنِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يصومُ شهرًا أكثرَ من شَعبانَ، فإنَّه كان يصومُ شعبانَ كلَّه" رواه البخاري ومسلم(١).

وقد كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم حريصًا على الطاعة والعبادة رغم مغفرة الله له ما تقدَّم وما تأخَّر من ذنبه، كما كان الصحابة- رضي الله عنهم- يتنافسون ويتسابقون في الطاعات والعبادات، ولا بدَّ للمسلم من الحرص على الاجتهاد في مواسم العبادات، والاجتهاد في شهر شعبان خاصَّةً، حيث إنَّه يُعين على الاجتهاد في شهر رمضان.

وفي ذلك يقول ابن رجب- رحمه الله-: إنَّ صيام شعبان كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة، بل قد تمرَّن على الصيام واعتاده، ووجد بصيام شعبان قبلَه حلاوة الصيام ولذَّته، فيدخل في صيام رمضان بقُوَّة ونشاط، ولما كان شعْبان كالمقدِّمة لرمضان شرع فيه ما يُشرَع في رمضان من الصيام وقراءة القرآن؛ ليحصُل التأهُّب لتلقِّي رمضان، وترتاض النُفُوس بذلك على طاعة الرحمن(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٨) برقم (١٩٧٠) كتاب التوحيد باب صوم شعبان. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨١١) برقم (١١٥٦) كتاب الصيام باب صيام النبي صلى الله عليه وسلم في غير رمضان، واستحباب أن لا يخلي شهرا عن صوم. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٣٤). لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.



وتخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم لشهر شعبان في الصيام مقرون برفْع الأعمال إلى الله، أي إنَّ الأعمال تُرفَع إلى الله في شهر شعبان، بينما تُعرَض كلَّ اثنين وخميس من أيام الأسبوع، وتجدُر الإشارة إلى أنَّ رفْع الأعمال إلى الله يكون على ثلاثة أنواعٍ؛ فيُرفَع إليه عملُ النهار قبل عمل الليل، ويُرفَع إليه عملُ الليل قبل عمل النهار، كما تُرفَع إليه الأعمال يومي الاثنين والخميس، وتُرفَع أيضًا في شهر شعبان بالخصوص.قال العلماء: ورفْع الأعمال على ثلاث درجات:

**الدرجة الأولى**: رفْع يومي: ويكون ذلك في صلاتَي الصبح والعصر، وذلك لما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصلُّون، وأتيناهم وهم يُصلُّون" (١).

**الدرجة الثانية**: رفْع أسبوعي: ويكون ذلك في يومي الاثنين والخميس، وذلك لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" تُعْرَضُ الأعْمالُ في كُلِّ يَومِ خَمِيسٍ واثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ في ذلكَ اليَومِ لِكُلِّ امْرِئٍ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا؛ إلَّا امْرَءًا كانَتْ بيْنَهُ وبيْنَ أخِيهِ شَحْناءُ، فيُقالُ: اترُكُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا، اترُكُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا"(٢).

وقيل: بل يكون في يوم الخميس، وذلك لما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ أعمال بني آدم تُعرَض كلَّ خميس ليلة الجمعة، فلا يَقبَلُ عملَ قاطعِ رحمٍ" (٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٥) برقم (٥٥٥) كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٣٩) برقم (٦٣٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٧) برقم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن الشحناء والتهاجر.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٦/ ١٩١) برقم (١٠٢٧٢). والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٧٤). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م. صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.



**الدرجة الثالثة:** رفْع سنوي: ويكون ذلك في شهر شعبان، وذلك لما رواه النسائي عن أسامة بن زيد– رضي الله عنه– قال: قلتُ: يا رسول الله؛ لم أركَ تصوم شهرًا من الشهور ما تصوم من شعبان، قال:" ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفَع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحبُّ أن يُرفَع عملي وأنا صائم"(١).

وكان شهر شعبان من أكثر الشهور التي يحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيامها بعد شهر رمضان، والإكثار من العبادات والدعاء فيها، فعن عَائِشَةَ– رضي الله عنها – قَالَتْ:" لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، وَكَانَ يَقُولُ: خُذُوا مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَأَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّتْ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلاةً دَاوَمَ عَلَيْهَا"(٢). رواه البخاري ومسلم.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ لليلة النصف من شعبان مكانةٌ عظيمةٌ.

ومن الأعمال المستحَبِ فعلُها في شهر شعبان قراءة القرآن؛ قال سلمة بن كهيل: كان يُقال: شهر شعبان شهر القُرَّاء، وكان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال: هذا شهر القُرَّاء، وكان عمرو بن قيس الملائي إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرَّغ لقراءة القرآن(٣).

كذلك صلة الأرحام والابتعاد عن المشاحنات في ليلة النصف من شعبان، وفي ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم:" يطَّلِعُ اللهُ إلى خَلقِه في ليلةِ النِّصفِ مِن شعبانَ فيغفِرُ لجميعِ خَلْقِه إلَّا لِمُشركٍ أو مُشاحِنٍ". رواه ابن حبان(٤).

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٧٦) برقم (٢٦٧٨) كتاب الصيام، صوم المبي صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي، وذكر اختلاف الناقلين في ذلك. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٦/ ١). السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م. صحيح وضعيف سنن النسائي، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٨) برقم (١٩٧٠) كتاب التوحيد باب صوم شعبان. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨١١) برقم (١١٥٦) كتاب الصيام باب صيام النبي صلى الله عليه وسلم في غير رمضان، واستحباب أن لا يخلي شهرا عن صوم.

(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٣٥).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (١٢/ ٤٨١) برقم (٥٦٦٥) كتاب الحظر والإباحة، ذكر مغفرة الله جل وعلا في ليلة النصف من شعبان لمن شاء من خلقه إلا من أشرك به أو كان بينه وبين أخيه شحناء. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٨٦). الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى،(لمكتبة المعارف)، عام النشر: ج ١ – ٤: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م،ج ٦: ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، ج ٧: ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.



والحكمة من إكثار النبي صلى الله عليه وسلم من الصيام في شهر شعبان تتمثّل بإحياء أوقات الغفلة بالعبادة والطاعة، وفي ذلك قال الحافظ ابن رجب الحنبلي- رحمه الله-: إنَّ شهر شعبان يغفُل عنه الناس بين رجب ورمضان، حيث يكتنفه شهران عظيمان، الشَّهر الحرام رجب، وشهر الصِّيام رمضان، فقد اشتغل الناس بهما عنه، فصار مغفولًا عنه، وكثيرٌ منَ الناس يظنُّ أنَّ صيام رجب أفضل من صيامه؛ لأنَّ رجب شهر حرام، وليس الأمر كذلك[1].

قال الشاعر:

أَمْطِـرْ بغَيْـثِ العَفْـوِ والغُفْـرانِ    يا ربَّنـا في النِّصْـفِ مـن شَـعْبانِ
واجعلْ رمادَ الإثمِ يذروهُ الهدى    وأنِـرْ دياجـي الـرَّانِ بالقُـرْآنِ
فيها تجلَّى اللهُ فادعـــوهُ يُجِبْ    إنِّي أُجيبُ العبدَ حينَ دعـــاني[2]
دعـــاني[2]

ولقد بيَّنَ العلماء العديد من الأحكام والمسائل المتعلِّقة بشهر شعبان، فقد جمع الإمام ابن رجب- رحمه الله- بين تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم شهرَيْ شعبان ومُحرَّم في الصيام؛ فقال: رغم أنَّ البعض من الشافعية وغيرهم ذهبوا إلى القول بأفضلية الصيام في شهر مُحرَّم وباقي الأشهر الحُرُم على شهر شعبان، إلَّا أنَّ الأظهر أنَّ الصيام في شعبان أفضل من الصيام في شهر رجب، كما بيَّنَ ابن رجب بين تفضيل صيام داود- عليه السلام-، وصيام شعبان وصيام يومَي الاثنين والخميس؛ فقال بأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم بيَّن أنَّ صفة صيام داود كانت لنصف الدهر فقط، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يُفرِّق بين أيام صيامه تحرِّيًا للأوقات والأيام الفاضلة[3].

ولقد حفل شهر شعبان بالعديد من الأحداث التاريخية المهمَّة المتعلِّقة بالمسلمين؛ ففيه أمر الله تعالى المسلمين بالجهاد في سبيله، وأوجبه عليهم، وألزمهم به، كما حُوِّلت القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام في شهر شعبان، ومن الأحداث الواقعة في شهر شعبان غزوة بني المصطلق التي انهزم فيها المنافقون، وانكشفت خدعهم ومخطَّطاتهم، كما وقعت غزوة بدر الصغرى أيضًا في شهر شعبان التي لم يحصل فيها قتالٌ بين المسلمين والكفار.

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٣٠).

(٢) من قصيدة بعنوان: ليلة النصف من شعبان. ينظر: موقع شبكة الألوكة:

(٣) ) ينظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٢٩).



**وأخيرًا**: يُعتبَر شهر شعبان منحة إيمانية، على كلِّ مسلمٍ أن يغتنم أيامها ولياليها في التقرُّب إلى الله بالطاعات في شتَّى أنواعها المختلفة؛ صيام وقيام، وصدقات وقراءة قرآن، وصلة أرحام، واستغفار ودعاء، فهو بمثابة فترة تدريبية للروح والبدن، وجعْلها مُستعِدَّة لاستقبال شهر رمضان.

## ٢ شعبان

## مَن سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة أو سُنَّة سيئة

عن جرير بن عبد الله البَجَلي- رضي الله تعالى عنه- قال:" كنَّا في صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء قومٌ عراةٌ، مُجتابي النِّمار- أو العَباء - مُتقلِّدي السيوف، عامَّتهم من مُضَر؛ بل كلُّهم من مُضَر، فتَمَعَّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بهم من الفاقَة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالًا فأذَّن وأقام، فصلَّى، ثم خطب فقال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[(١)].قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[(٢)]. فتصدَّق رجلٌ من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشقِّ تمرة. فجاء رجلٌ من الأنصار بصُرَّةٍ كادت كفُّه تعجز عنها؛ بل قد عجزتْ!! قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يتهلَّل كأنَّه مُذْهَبَةٌ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً؛ فله أجرها وأجر مَن عمل بها بعده، من غير أن يُنقَص من أجورهم شيءٌ. ومَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً سيِّئةً؛ كان عليه وِزْرُها ووِزْرُ مَنْ عمل بها، من غير أن يُنقَص من أوزارهم شيءٌ". رواه مسلم[(٣)].

وقد سئل الشيخ ابن باز- رحمه الله- عن صحَّة هذا الحديث فقال: هذا الحديث صحيح، وهو يدلُّ على شرعية إحياء السنن، والدعوة إليها، والتحذير من البدع والشرور؛ لأنَّه صلى الله عليه وسلم يقول: مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة كان له أجرها وأجر مَن عمل بها من بعده لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومَن سَنَّ في الإسلام سُنَّة سيِّئة كان عليه وزرها ووزر مَن عمل بها من بعده لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا. خرَّجه مسلم في صحيحه[(٤)].

---

(١) النساء: ١.

(٢) الحشر: ١٨.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٤) برقم (١٠١٧) كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار.

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٣٧٢). مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.



**ومعنى الحديث**: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يحثُّ على الابتداء بالخير، وسنِّ السُّنن الحسنة، ويُحذِّر من اختراع الأمور الباطلة والمستقبَحة، ففي هذا الحديث بادرَ رجلٌ إلى الخير فبدأ هو بالصدقة، فتتابع الناس على التصدُّق بعده، فكان الفضل العظيم للبادئ بهذا الخير، والفاتح لباب هذا الإحسان، والنبي صلى الله عليه وسلم يُعطينا درسًا عمليًّا ونظريًّا فيما ينبغي أن تكون عليه شخصية الإنسان المسلم؛ ففي الجانب النظري يُصرّح صلى الله عليه وسلم بالقاعدة الأصلية التي ينبغي أن تنضبط بناءً عليها أعمال المسلم، وهي أنَّ المبادرة إلى الخير والحسنات تفتح باب الخير للمجتمع المسلم، وبالتالي لا بُدَّ من الحثِّ عليها، والعكس في فتْح باب الشرور والسيِّئات.

أمَّا الجانب العملي فتمثَّل في تعزيز النبي صلى الله عليه وسلم مبادرة الصحابي إلى الصدقة، وإظهار الاستبشار له؛ ترغيبًا لغيره في اتباع طريقته، ولقد جاء حديث "السُّنَّة الحسنة" ليُبيِّن للمسلمين أنَّ المحدَثات الباطلة والبدع المذمومة هي فقط التي حرَّمها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

والسُّنَّة الحسنة تنقسم قسمين: **الأوَّل السُّنَّة المشروعة** ثم تُترَك أو تموت، فيُجدِّدُها مَن يُجدِّدُها أو يُحييها مَن يُحييها كقيام رمضان بإمام، فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم شرع لأُمَّته في أوَّل الأمر الصلاة بإمام في قيام رمضان، ثم تخلَّف خوفًا من أن تُفرَض على الأُمَّة وذلك لشفقته على أُمَّته، ثم ترك ذلك في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا في عهد أبي بكر الصديق- رضي الله عنه-، ثم في أوَّل عهد الفاروق عمر- رضي الله عنه-، ثم رأى عمر- رضي الله عنه- أن يجمع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح.

**والقسم الثاني** من السُّنن الحسنة أن يكون الإنسان أوَّل مَن يُبادِر إليها؛ مثل حال الأنصاري الذي بادر بالصدقة فكان هو الذي سَنَّها، فتتابع الناس بعد ذلك ووافقوه على ما فعل.

ومن الأمثلة على السُّنَّة الحسنة أيضًا: تعلُّم العلم النافع وتعليمه للناس، فالمعلِّم الذي يبتغي بعلمه وجه الله تعالى ينشر الخير بين المسلمين، ويُحبِّب إليهم طلب العلم، فيتنافس الناس في تعلُّمِه، فيثاب الجميع.

هذا وقد أخرج الامام مسلم في صحيحه عن أبي مسعود عقبة بن عامر- رضي الله عنه- قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فَقالَ: إنِّي أُبْدِعَ بي فَاحْمِلْنِي (أي انقطع بي السبيل فأعطني دابة أركبُها)، فَقالَ: ما عِندِي، فَقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللهِ؛ أَنَا أَدُلُّهُ علَى مَن يَحْمِلُهُ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" مَن دَلَّ علَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ"(١).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠٦) برقم (١٨٩٣) كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير.

قال الإمام النووي- رحمه الله-: والمراد بمثل أجر فاعله؛ أنَّ له ثوابًا بذلك الفعل، كما أنَّ لفاعله ثوابًا، ولا يلزم أن يكون قدرُ ثوابهما سواءً[١].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا". رواه مسلم[٢].

والمراد بالسُّنَّة في قوله صلى الله عليه وسلم:" مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة"؛ أي ابتدأ العمل بسُنَّة، وليس مَن أحدَثَ؛ لأنَّ مَن أحدَثَ في الإسلامِ ما ليس منه فهو ردٌّ، وليس بحسن، لكن المراد بمَن سَنَّها، أي: صار أوَّل مَن عمل بها، كهذا الرجل- رضي الله عنه- الذي جاء بالصُّرَّة.

والسُّنَّة لها معانٍ كثيرة، فالسُّنَّة هي الطريقة المسلوكة، فإمَّا أن تكون هذه الطريقة المسلوكة حسنة أو سيِّئة، ولذلك تقول: فلان يسير سيرًا حسنًا، أو يسير سيرًا سيِّئًا، أو يسير على طريقة حسنة، أو على طريقة سيّئة.

فقولك: على طريقة. أي: على سُنَّة؛ سواء كانت سُنَّة سيِّئة أو سُنَّة حسنة، والسُنَّة كذلك إنَّما تعني أقوال النَّبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، والسُّنَّة إمَّا أن تكون خيرًا وإمَّا أن تكون شرًّا.

**وعند الفقهاء**: السُّنَّة ما دون الفرض. تقول: هذا فرض، وهذا سُنَّة. صلاة الظُّهر فرض، ولها سُنَنٌ قبليَّة وبعديَّة. فالسُّنَّة عند الفقهاء غير السُّنَّة عند أهل اللغة، وكذا هي غير السُّنَّة عند الأصوليين والمحدِّثين، ولذلك السُّنَّة عند قومٍ: هي ما يُثاب فاعلُها ولا يُعاقَب تاركُها؛ فيتحدَّد المقصود والمراد من لفظ السُّنَّة إذا وردتْ في دليلٍ أو في نصٍّ من السياق، أو مِن سبب ورود هذا النصِّ.

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: فيه التحذير من السُّنن السيّئة، وأنَّ مَن سَنَّ سُنَّة سيّئة فعليه وزرها ووزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة، حتَّى لو كانت في أوَّل الأمر سهلة، ثم توسَّعتْ فإنَّ عليه وزر هذا التوسُّع، مثل لو أنَّ أحدًا من الناس رخَّصَ لأحدٍ في شيء من المباح الذي يكون ذريعة واضحة إلى المحرَّم وقريبًا، فإنَّه إذا توسَّع الأمر بسبب ما أفتى به الناس فإنَّ عليه الوزر، ووزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة[٣].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٣/ ٣٩). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي(المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٠) برقم (٢٦٧٤) كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.

(٣) شرح رياض الصالحين (٢/ ٣٤٥). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.

**والخلاصة** ما قاله الإمام النووي: وهذا الحديث من قواعد الإسلام، وهو: أنَّ كلَّ مَن ابتدع شيئًا مِن الشرِّ؛ كان عليه مثل وزر كلِّ مَن اقتدى به في ذلك العمل إلى يوم القيامة؛ فالأب الذي أساء تربية أولاده، وكان قدوة سيِّئة لهم، واقتدوا به في سلوكياته المنحرفة، يتحمَّل وزر أولاده، لأنَّه هو السبب في انحرافهم، وعلى الأولاد أيضًا وزر أفعالهم كاملًا، لا ينتقص منها شيء.

## ٣ شعبان

# إيَّاكم ومُحدَّثات الأمور

لقد أكمل الله لنا الدين، وأتمَّ علينا النعمة فقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

قال الإمام البخاري- رحمه الله-:" فَإِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الكَمَالِ فَهُوَ نَاقِصٌ"(٢)، والنقصان في الدين أن يزيد الإنسان عملًا لم يأذن به الله، ولم يشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال- عليه الصلاة والسلام-:" مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ". متفق عليه(٣)؛ فالدين ليس بحاجة إلى إكماله بإحداث بدع وضلالات مهما استحسنتها العقول، وحسَّنَتْها النيات، ففي مسند الإمام أحمد أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ- رضي الله عنه- أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَغَضِبَ وَقَالَ:" أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا؛ مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي"(٤).

**والبدعة في اللغة:** هي الأشياء التي يحدثها الإنسان بعد أن لم تكن موجودة. أمَّا في الشرع: فهي كلُّ مَن تعبَّدَ الله سبحانه وتعالى بغير ما شرع؛ عقيدةً، أو قولًا، أو فعلًا.

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) صحيح البخاري (١/ ١٧) كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٣) برقم (١٧١٨) كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور. ورواه البخاري تعليقًا، ينظر: صحيح البخاري (٣/ ٦٩) كتاب البيوع باب النجش، ومن قال: «لا يجوز ذلك البيع»

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ٣٤٩) برقم (١٥١٥٦). والحديث حسنه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٦/ ٣٤). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.



وعرَّفَ بعضُ أهل العلم البدعة على أنَّها كلُّ شيءٍ كان سببه موجودًا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يأتِ به النبي صلى الله عليه وسلم فهو بدعة، ولقد عرَّف الإمام الشاطبي- رحمه الله- البدعة الشرعية بقوله: طريقة في الدين مُخترَعة تُضاهي الشرعية، يُقصَد بالسلوك عليها المبالغة في التعبُّد لله سبحانه.[١] وهذا على رأي مَن لا يُدخِل العادات في معنى البدعة، وإنَّما يخصُّها بالعبادات.

وأفضل تعريف للبدعة أنَّها (المحدَث في الدين) فهو مُطابِقٌ لقوله صلى الله عليه وسلم:" كلُّ مُحدَثةٍ بدعة". رواه أبو داود[٢]؛ إذن فإنَّ كلَّ عقيدةٍ أو عبادةٍ أو سلوكٍ أو قانونٍ مُخالِف للكتاب والسُّنَّة وهدي سلف الأمة الصالح- رحمهم الله- وقواعد الشريعة الإسلامية وأصولها الكلية؛ فهو بدعة.

والبدع المحدَثة في الدين بلا استثناء ضلال، قال صلى الله عليه وسلم:" مَن أحدَثَ في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ". رواه البخاري ومسلم[٣]؛ فكلُّ مَن أحدَثَ شيئًا ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصلٌ من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين بريء منه، سواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة.

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: إنَّ كلَّ عبادةٍ فُعِلت على وجهٍ منهيٍّ عنه فإنَّها فاسدة؛ لأنَّه ليس عليها أمر الشارع، وإنَّ النهي يقتضي الفساد، وكل معاملة نهى الشارع عنها؛ فإنَّها مُلغاةٌ لا يُعتدُّ بها[٤].

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٤٧). الاعْتِصَام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ٢٣٤) برقم (١٤٩٨٤). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٠٠) برقم (٤٦٠٧) كتاب السنة باب في لزوم السنة. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٣٨٠) برقم (١٧٩٩) كتاب صلاة العيدين، كيف الخطبة. وابن ماجه في سننه (١/ ١٨) برقم (٤٦) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اجتناب البدع والجدل. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ٧٣). سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٨٤) برقم (٢٦٩٧) كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٣) برقم (١٧١٨) كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور.

(٤) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار (ص: ١٨). بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الكريم بن رسمي ال الدريني، دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.



**ومُحدَثات الأمور**: هي كلُّ ما أُحدِثَ في الدين على خلاف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من عقيدة أو عمل، أو يُقال: هي كلُّ ما ليس له أصلٌ في الدين. وكلُّ عمل يَتقرَّبُ به العبدُ لله تعالى وليس عليه دليلٌ من الكتاب والسُّنَّة؛ فهو بدعة، وكلَّما تقرَّب بها العبد إلى الله تعالى كلَّما ازداد منه بُعدًا.

**والمحدَثات على قسمين:**

١- اعتقادية: وذلك باعتقاد خلاف الحقِّ الذي أرسل الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنزل به كتابه، ومثال ذلك: ما أحدثته الجهميَّة ومَن قال بقولهم من نفْي الأسماء الحُسنى والصفات العُلا عن الله تعالى، وغير ذلك من البدع الاعتقادية، كالقول بخلْق القرآن، ونفْي رؤية الله تعالى يوم القيامة.

٢- تعبُّدية: وهي التعبُّد بما لم يأذِنِ الله به من الأوضاع والأعمال المحدَثة في الدين التي لا يقبل الله تعالى منها شيئًا، كالاحتفال بليلة النصف من شعبان، والاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك من البدع المحدَثة.

ولقد حذَّر أئمة الإسلام من خطورة البدع والإحداث في الدين؛ قال الإمام مالك- رحمه الله-: مَن أحدَثَ في هذه الأُمَّة شيئًا لم يكن عليه سلَفُها فقد زعم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الدين، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[(١)]، فما لم يكن يومئذٍ دِينًا؛ لا يكون اليوم دِينًا[(٢)].

وقال سفيان الثوري- رحمه الله-: البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية، المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها[(٣)]. ويرحم الله الإمام الشافعي- رحمه الله- حين قال: لأن يلقى اللهَ العبدُ بكلِّ ذنبٍ خلا الشرك؛ خيرٌ من أن يلقاه بشيءٍ من الهوى[(٤)].

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٢).

(٣) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٣٢٠).

(٤) رواه ابن الجعد في مسنده (ص: ٢٧٢). مسند ابن الجعد، المؤلف: علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة نادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.



فيجب على المسلم اتِّباع النبي صلى الله عليه وسلم والتقرُّب إلى الله بما جاء به، وهو مُقتضى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلُّ ما يعتقده النَّاس ممَّا خالف الكتاب والسُّنَّة فهو مجرد خُرافات وأوهام ومن وحي الشيطان، وكلُّ ما يَتقرَّبون به من ذلك فهو مجرد طقوس لا تُزكِّي نفسًا ولا تُطهِّر قلبًا، فالبدعة سرابٌ يحسبه الظمآنُ ماءً حتَّى إذا جاءه لم يجده شيئًا قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ (١) لقد أمضت أُمَّة الإسلام قرونها الثلاثة الأولى التي زكَّاها النبي صلى الله عليه وسلم لم تعرف تخصيص يومٍ لذكرى مولده عليه الصلاة والسلام، وإنَّما أوَّل مَن أظهر هذه البدعة بنو عُبَيد في القرن الرابع، المتسَمُّون زورًا بالفاطميين؛ وهم مَن خرجوا على الخلافة العباسية، ولما خافوا من ثورة الناس عليهم، استمالوا قلوب الناس وكسْب عواطفهم بإحداث ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وموالد لفاطمة وعليٍّ، والحسن والحُسين، ولجماعة من سلالة آل البيت- رضي الله عنهم وأرضاهم-.

وبنو عبُيد من ذرِّيَّة عبد الله بن ميمون القداح؛ المعروف بالكفر والنفاق والضلال، والمشهور بعداوته لأهل الإيمان، ومعاونته لأهل الكفر والعدوان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- فيهم:" وهؤلاء القوم تشهد عليهم الأُمَّة وأئمتها أنَّهم كانوا مُلحِدين زنادقة، يُظهِرون الإسلام ويُبطنون الكفر"(٢).

والمؤمن في تعامُله مع أهل البدع؛ كمثل الطبيب في تعامُله مع المرضى، فيجب عليه نصحهم وتحذيرهم من البدع، ولفْت نظرهم إلى عظيم خطر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن البدع، فإنَّ المسلم مع أهل البدع يدور بين الهجر والنصح، فأيُّهما كان وسيلة أقرب للعلاج استخدمه، فإن كان الهجر سببًا لترْك بدعته يهجُر، وإن كانت المداومة على النصيحة والتذكير بالله سببًا لترْك بدعته ينصح.

وقد قال الشاعر في ذمِّه لأهل البدع والأهواء:

قُل لِمَن خالفَ هديًا يُتَّبَعْ ومضى في غَيِّهِ حتى ابتدعْ

---

(١) النور: ٣٩.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٢٨). مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

كلُّ خيرٍ في اتِّباع مَن مضى    كــلُّ شَــرٍّ في جهــولٍ اخــترعْ
سِرْ على سَيرِ الأولى ساروا    نهــجِ هادينــا الأمــينِ المتَّبَــعْ
قَبَّحَ اللهُ أُناسًا بعدهمْ    أبــدلوا السُّــنَّةَ فينــا بالبِــدَعْ
أدخَلُوا في الدِّينِ شَيئًا لم يكُنْ    قبلُ مَوجودًا تُرى كيف وقــعْ[1]

**وأخيرًا** إنَّ الأمور المحدَثة في الدين ضلالٌ مُبينٌ وعملٌ مُشينٌ، سواء كانت عقيدة في القلوب تطمس أنوار الفطرة، أم كانت أعمالًا مردودة على أصحابها بعد التعب والنصب.

ثم إنَّها لو صدرتْ عن حُسْن نِيَّةٍ وسلامةٍ طويَّةٍ؛ ذنبٌ ومعصية، يُؤاخَذ بها المكلَّف، ويُحاسَب عليها شأنَ كلِّ قضية، ذلك لأنَّها مُخالِفة للكتاب والسُّنَّة، وهي أصلُ كلِّ بليَّةٍ، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2].

(١) من قصيدة بعنوان "ذم البدع". ينظر: http://www.ahlalloghah.com/showthread.php?t=10419

(٢) النور: ٦٣.

## ٤ شعبان

## إنَّما يُوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب

إنَّ من حكمة الله جل شأنه أن يبتلي عباده، وأن يمتحن صدق إيمانهم في كثير من الأمور؛ كالخوف، والجوع، والفقر، وفقْد الأحبَّة، والفراق، والخسارة في التجارة، ونقص الأموال، وغير ذلك من المصائب والشدائد، التي تحتاج إلى نفوسٍ قويَّةٍ بإيمانها، وعزائم جبَّارة تستطيع حمل هذه الأهوال والتعايُش معها، والصبر عليها دون تبرُّم، ودون أي اعتراض أو شكوى، بل رضاءً واحتسابًا لله، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[١]. ولقد أثنى الله على هؤلاء الذين ثبتوا وصبروا وصابروا، فكانت لهم المغفرة، وقد وعدهم الله بالفوز العظيم، وبأنَّه سبحانه وتعالى سيُوفِّيهم أجورهم، وسيُعطيهم بتوسعة وبلا حساب، وبلا نهاية عظمى، يقول سبحانه:﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢].قال سليمان بن القاسم: كلُّ عملٍ يُعرَف ثوابه إلَّا الصبر[٣]، وقال الأوزاعي: ليس يُوزن لهم ولا يُكال لهم، وإنَّما يُغرَف لهم غرفًا[٤].

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: وهذا عامٌّ في جميع أنواع الصبر؛ الصبر على أقدار الله المؤلِمة فلا يتسخَّطها، والصبر عن معاصيه فلا يرتكبها، والصبر على طاعته حتَّى يُؤدِّيَها، فوعد الله الصابرين أجرهم بغير حساب، أي: بغير حدٍّ ولا عدٍّ ولا مقدارٍ، وما ذاك إلَّا لفضيلة الصبر ومحلِّه عند الله، وأنَّه مُعينٌ على كلِّ الأمور[٥].

---

(١) البقرة: ١٥٥- ١٥٧.

(٢) الزمر: ١٠.

(٣) ينظر: الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (ص: ٢٩). الصبر والثواب عليه، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المتوفى ٢٨١هـ، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٨٩). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٥) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٢١). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.



والصبر من أعظم خصال الخير التي حثَّ الله عليها في كتابه العظيم، وأمر بها رسوله صلى الله عليه وسلم في سُنَّته المطهَّرة، وقد وردت مادة (صبر) في القرآن الكريم في مائة وأربعة مواضع، على تنوُّعٍ في مواردها وأسباب ذكْرها؛ فقد أمر الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم بخُلُقِ الصبر فقال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(٢)، وأمر الله به المؤمنين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ﴾(٣)، وأثنى على أهله، فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (٤) وأخبر بمحبَّته للصابرين، فقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٥)، ووعدهم أن يجزيهم أعلى وأوفى وأحسن ممَّا عملوه، فقال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٦)، وأخبر أنَّ جزاءهم الجنَّة، فقال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾(٧) وكذا الشأن في السُّنَّة النَّبويَّة، فقد حثَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أُمَّته على هذا الخُلُق الكريم، وكانت سيرته صلى الله عليه وسلم أنموذجًا يُحتذَى به في التخلُّق بخُلُق الصبر بشتَّى أنواعه وأعلى درجاته، ومَن قرأ في سيرته العمليَّة وسُنَّته القوليَّة؛ سيجد أنَّ للصبر شأنًا عظيمًا، قال

---

(١) النحل: ١٢٧.

(٢) الأحقاف: ٣٥.

(٣) آل عمران: ٢٠٠.

(٤) البقرة: ١٧٧.

(٥) آل عمران: ١٤٦.

(٦) النحل: ٩٦.

(٧) الإنسان: ١٢.



صلى الله عليه وسلم:" عَجَبًا لأَمْرِ المؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له". رواه مسلم(١).

فهذا الحديث يعمُّ جميع أقضيته لعبده المؤمن، وأنَّها خيرٌ له إذا صبر على مكروهها وشكر لمحبوبها، بل هذا داخلٌ في مُسمَّى الإيمان؛ كما قال بعض السلف:" الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر"(٢)، وإذا اعتبر العبد الدين كلَّه؛ رآه يرجع بجملته إلى الصبر والشكر.

وذلك لأنَّ الصبر ثلاثة أقسام:

**صبر على الطاعة** حتى يفعلها، فإنَّ العبد لا يكاد يفعل المأمور به إلَّا بعد صبرٍ ومصابرة ومجاهدة لعدوه الباطن والظاهر، فبحسب هذا الصبر يكون أداؤه للمأمورات وفعله للمُستحبَّات.

**النوع الثاني**: صبر عن المنهي عنه حتى لا يفعله، فإنَّ النفس ودواعيها، وتزيين الشيطان، وقرناء السوء؛ تأمره بالمعصية وتُجرِّئه عليها، فبحسب قوة صبره يكون تركه لها، قال بعض السلف: أعمال البِرِّ يفعلها البَرُّ والفاجر، ولا يقدر على تَرْك المعاصي إلَّا صِدِّيق.

**النوع الثالث**: الصبر على ما يُصيبه بغير اختياره من المصائب، وهي نوعان: نوعٌ لا اختيار للخَلْق فيه، كالأمراض وغيرها من المصائب السماوية، فهذه يسهل الصبر فيها، لأنَّ العبد يشهد فيها قضاء الله وقدره، وأنَّه لا مدخل للناس فيها، فيصبر إمَّا اضطرارًا، وإمَّا اختيارًا، فإن فتح الله على قلبه باب الفكرة في فوائدها وما في حشوها من النعم والألطاف؛ انتقل من الصبر عليها إلى الشكر لها والرضا بها، فانقلبتْ حينئذٍ في حقِّه نعمة، وهذا يقوى ويضعف بحسب قوة محبَّة العبد لله وضعفها.

والمصائب نوعان:

**النوع الأول**: نوع لا اختيار للخلق فيه، كالأمراض وغيرها من المصائب السماوية، وهذا النوع يسهل الصبر فيه لأن العبد يشهد فيه قضاء الله وقدره، وأنه لا مدخل للناس فيه فيصبر إما اضطراراً وإما اختياراً.

**النوع الثاني**: أن يحصل له بفعل الناس في ماله أو عِرْضه أو نفسه؛ فهذا النوع يصعب الصبر عليه جدًّا، لأنَّ النفس تستشعر المؤذي لها، وهي تكره الغلبة، فتطلب الانتقام، فلا يصبر على هذا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩٥) برقم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق باب المؤمن أمره كله خير.

(٢) روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٠٨).



النوع إلَّا الأنبياء والصدِّيقون، وكان نبيُّنا صلى الله عليه وسلم إذا أوذي يقول:"يرحم الله موسى؛ لقد أُوذِي بأكثر من هذا فصبر". رواه البخاري ومسلم[١]، وأخبر عن نبيٍّ من الأنبياء أنَّه ضربه قومه فجعل يقول:" اللهمَّ اغفرْ لقومي فإنَّهم لا يعلمون". رواه البخاري ومسلم[٢][٣].

ومما يُعين العبد على الصبر [٤] أن يشهد أنَّ الله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فانظر إلى الذي سلَّطهم عليك، ولا تنظر إلى فعْلهم بك، فتستريحَ من الهمِّ والغمِّ والحزن. وأن يشهد معيَّة الله معه إذا صبر، ومحبَّة الله له ورضاه، ومَن كان الله معه؛ دفَعَ عنه من أنواع الأذى والمضرَّات ما لا يدفع عنه أحدٌ مِن خلقه، قال الله تعالى:﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٥] وأن يشهد العبد أيضًا حُسن الثواب الذي وعده الله لمن عفا وصبر، كما قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٦].

**وختامًا**؛ اعلم أنَّ للصبر ثمرات عظيمة منها: أنَّ الصابرون هم أهل الفوز والنجاة؛ قال تعالي عن المؤمنين الفائزين بالنعيم المقيم في الآخرة: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾[٧] وكذلك بشَّرنا الله عزَّ وجلَّ بما يُقال لأهل الجنَّة يوم القيامة﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[٨] ، وعن أبي موسى الأشعري- رضي الله

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٣) برقم (٦٣٣٦) كتاب الدعوات باب قول الله تعالى: {وصل عليهم} [التوبة: ١٠٣] ومن خص أخاه بالدعاء دون نفسه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٣٩) برقم (١٠٦٢) كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٥) برقم (٣٤٧٧) كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤١٧) برقم (١٧٩٢) كتاب الجهاد والسير باب غزوة أحد.

(٣) ينظر لأنواع الصبر الثلاثة وهذا النقل: جامع المسائل لابن تيمية (ص: ١٦٦). جامع المسائل – المجموعة الأولى، المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨ هـ)، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٤) ينظر الأسباب المعينة على الصبر: جامع المسائل لابن تيمية (ص: ١٦٨).

(٥) الأنفال: ٤٦.

(٦) الشورى: ٤٠.

(٧) المؤمنون: ١١١.

(٨) الرعد: ٢٤.

عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال:"إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قال الله لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُم وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولَونَ: نعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قال عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاستَرْجَعَ. فَيَقُولُ الله: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ". أخرجه الترمذي(١).

وقد قال الشاعر:

اصبرْ على مضضِ الإدلاج في السحَرِ     وفي الـرَّواحِ إلى الطّاعـاتِ في البكـرِ
إنّي رأيتُ وفي الأيام تجربةٌ     للصَّبــر عاقبـــةٌ محمـــودةٌ الأثـــرِ
وَقَلَّ مَن جـدَّ في أمـــــرٍ يُؤمِلهُ     واستصحَّبَ الصَّبرَ إلَّا فاز بالظفرِ(٢)

كما أنَّ في الصبر والاحتساب تكفيرًا عن خطايا الإنسان، قال بعض السلف: لولا المصائب لوردنا الآخرة مفاليس، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَة- رضي الله عنه- أنَّ النَّبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ:" مَا يُصِيبُ الْمسلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزنٍ، وَلَا أَذىً، وَلَا غَمٍّ، حَتى الشوْكَةِ يُشَاكُهَا؛ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ". أخرجه البخاري ومسلم(٣).

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ٣٣٢) برقم (١٠٢١) باب فضل المصيبة إذا احتسب. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣/ ٢١). سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. صحيح وضعيف سنن الترمذي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ٣١٣). المستطرف في كل فن مستطرف، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١١٤) برقم (٥٦٤١) كتاب المرضى باب ما جاء في كفارة المرض. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٢) برقم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة والآداب باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها.



## ٥ شعبان

## وجوب إخلاص العمل لله

قد تُصيبُ نيَّةَ المسلم بعضُ الشَّوائب والعيوب التي تُحدِث خللًا فيها، ممَّا يُؤدِّي إلى حدوث النَّقص في عمله أو قوله، وبالتَّالي عدم قبولهما عند الله تعالى.

ومن هذه الشَّوائب: الرِّياء؛ والذي يُؤدِّي إلى حُبِّ الإنسان لإنجاز الأفعال، أو قول القول أمام النَّاس، طالبًا بذلك أن يُصبح له مكانٌ عندهم، وأن يشتهر بينهم بما يفعل، والرِّياء يُعَدُّ من صفات المنافقين، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١].

والشَّائب الآخر هو رغبات نفس الإنسان، وهي قيامه بالفعل بهدف مدْح النَّاس له، وحُبِّه، والقُرْب منه، والابتعاد عن ذمِّه، وكلا هذين الشَّائبين فيهما خطورة تُؤدِّي إلى عدم قبول العمل عند الله تعالى، فهُنا يأتي دور الإخلاص لله تعالى في القول والعمل لتصفية النِّية وتنقيتها من هذه الشَّوائب.

والإخلاص في العمل هو الإتقان والإحكام، والإتقان هو معيار التميُّز بين المجتهد والمقصِّر، فكل الناس يُؤدُّون أعمالهم؛ ولكنَّ الفارق بينهم يكون في درجة إتقانهم للأعمال التي عليهم، ولأنَّ العبرة ليست في أداء العمل فقط، ولكن في الصفة التي أُدِّي بها العمل.

وقد قيل: الإخلاص هو استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، والرياء: أن يكون ظاهرُه خيرًا من باطنه، والإخلاص أن يتَّهم دائمًا نفسه بالتقصير، ولا يرى لها فضلًا، ويعلم أنَّ الفضل كلَّه لله، ولولا الله تعالى لهلك.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢]، قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: ينبغي للعبد كلَّما فرغ من عبادة؛ أن يستغفر الله عن التقصير، ويشكره على التوفيق، لا كمن يرى أنَّه قد أكمل العبادة، ومنَّ بها على

---

(١) النساء: ١٤٢.

(٢) النور: ٢١.



ربِّه، وجعلتْ له محلًّا ومنزلة رفيعة، فهذا حقيق بالمقت وردِّ الفعل، كما أنَّ الأوَّل حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال أُخَر[١].

وإنَّ ممَّا يُعين العبد على إتقان العمل أن يستشعر رؤية الله تعالى لعمله، كما قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢].كما أنَّ الإخلاص لله تعالى سرٌّ بديع من أسرار الإتقان، وتلك وصية النبي صلى الله عليه وسلم حينما سأله جبريل عن الإحسان، فقال:" أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ" رواه البخاري ومسلم[٣]، فإذا كان الإنسان لا يُتقن إلَّا إذا كان رئيسه في العمل فوق رأسه؛ فقد مات الضمير ودُفِنَ الإخلاص! والعبد لن يستطيع أن يصل إلى درجة الإحسان إلَّا بأن يعبد الله كأنَّه يُعاينه وينظر إليه، فإنَّه إذا استحضر ذلك عند أداء العبادة، فلن يترك شيئًا يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمْت واجتماع القلب والاعتناء بإتمام العبادة إلَّا أتى به، وبذلك يكون قد حقَّق تعريف الإخلاص في العمل. ومن صور تعريف الإخلاص في العمل؛ الحفاظ على أدوات العمل وممتلكاته وحقوقه من العبث والإهمال والإتلاف والتصرُّف الخاصِّ؛ فعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: كنتُ أرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:" يا غلام؛ هل من لبن؟" قال: قلتُ: نعم، ولكنِّي مُؤتَمَنٌ، قال:" فهل من شاة لم ينزُ عليها الفحل؟" فأتيتُه بشاةٍ فمسح ضرعها، فنزل لبن، فحلبه في إناء، فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع:" اقلصْ" فقلصَ، أي اجتمع، قال: ثم أتيتُه بعد هذا فقلتُ: يا رسول الله؛ علِّمني من هذا القول، فمسح على رأسي وقال:" يرحمك الله، فإنَّك غُلَيِّمٌ مُعلَّمٌ". أخرجه أحمد[٤].

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٢).

(٢) التوبة: ١٠٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٩) برقم (٥٠) كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٦) برقم (٨) كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٨٢) برقم (٣٥٩٨). والحديث حسنه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠/ ١٦٠). التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.



ومن صور تعريف الإخلاص في العمل أيضًا؛ أن يُؤدِّي ما وجب عليه أداؤه في عمله إلى أهله من غير محاباة أو مماطلة أو خيانة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الخازن الأمين الذي يُنفِذ– وربُّما قال: يُعطي– ما أُمِر به فيعطيه كاملًا مُوفَّرًا طيِّبة به نفسه فيدفعه إلى الذي أُمِر له به؛ أحدُ المتصدِّقين". رواه البخاري ومسلم(١).

وقد ذُكِر الإخلاص في كثيرٍ من الآيات في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾(٢)، وفيما يتعلَّق بحكم الإخلاص فإنَّه واجبٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، فقد أمر الله تعالى عباده بالإخلاص له بالعبادة، وذلك في قوله تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾(٣) ، وأمر عباده أيضًا بالإخلاص له في الدُّعاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾(٤) وقد سُئل سماحة الشيخ ابن باز– رحمه الله: ما الطريق الصحيح لإخلاص العمل لله؟.

**فأجاب**: الطريق لذلك هو الإقبال على الله، وإحضار القلب بين يديه، وأن تعمل العمل تريد وجهه، تريد النجاة من النار، تريد رحمته وإحسانه، سواء كان العمل صلاة أو صومًا أو صدقة أو حجًّا أو عمرة أو غير ذلك، هذا هو الإخلاص؛ أن تقصد وجه ربِّك تريد التقرُّب إليه، تريد رحمته، تريد قبوله منك، تريد النجاة من النار، تريد الفوز بالجنة، لا تفعله رياء ولا سُمعة، ولكن تفعله تريد وجه الله، تريد الدار الآخرة، تريد النجاة، تريد براءة الذِّمَّة، هكذا المؤمن، فالواجب على كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ أن يكون عمله لله، وأن يقصد بهذا العمل وجه ربِّه والقُربة لديه؛ لعله يرضى عنه، ولعله يتقبَّله منه(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١١٤) برقم (١٤٣٨) كتاب الزكاة باب أجر الخادم إذا تصدق بأمر صاحبه غير مفسد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٠) برقم (١٠٢٣) كتاب الزكاة باب أجر الخازن الأمين، والمرأة إذا تصدقت من بيت زوجها غير مفسدة بإذنه الصريح أو العرفي.

(٢) البينة: ٥.

(٣) الزمر: ٢.

(٤) الأعراف: ٢٩.

(٥) ينظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز (١/ ٧٧). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.



**والخلاصة** أنَّ الإخلاص يُنجيك من إضلال الشيطان وإغوائه؛ قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[١]، قرأ الكوفيون ونافعٌ والحسنُ والأعرجُ: (المخلَصين) بالفتح، وباقي السبعة والجمهورُ بالكسر: (المخلِصين).

كذلك الإخلاص يُورثك نعيم الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝٤١ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝٤٢ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝٤٣ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝٤٤ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝٤٧ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[٢].

والإخلاص يُطهِّر قلبَك مِن الحقد والغلِّ والخيانة؛ روى أحمد وابن ماجه- وصحَّحه الألباني- عن زيد بن ثابت- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ثلاثٌ لا يُغِلُّ عليهن قلبُ امرئٍ مُسلمٍ: إخلاص العمل لله، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإنَّ دعوتهم تُحيط مِن ورائهم[٣]".

لَعَمْرُك إنَّ المجدَ والفخرَ والعُلا ... ونَيْلَ الأماني واكتسابَ الفضائلِ
لِمَنْ يُخلِصُ الأعمالَ للهِ وحدَهُ ... ويُكثِرُ مِن ذكْرٍ له في المنازلِ
وفي المساجدِ والأسواقِ يذكرُه ... وَيَشْغَلُهُمْ فِي ذِكْرِهِ فِي الْمَحَافِلِ[٤]

كذلك الإخلاص يُفرِّج الهموم، ويزيل الكروب؛ وهذا واضحٌ من حديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار؛ حيث نجَّاهم الله تعالى بإخلاصهم.

---

(١) ص: ٨٢ – ٨٣.

(٢) الصافات: ٣٩ – ٤٩.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ٤٦٧) برقم (٢١٥٩٠). وابن ماجه في سننه (١/ ٨٤) برقم (٢٣٠) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من بلغ علمًا. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٣٠٢). صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب : برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٤) ينظر: موارد الظمآن لدروس الزمان (٢/ ٤٢١). موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، المؤلف: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الطبعة: الثلاثون، ١٤٢٤هـ.

## ٦ شعبان

## أسباب محبَّة الله للعبد

تُعدُّ محبة الله تعالى هي الغاية التي يقصدها المسلم؛ فهي غذاء الروح، وسبب السعادة، واطمئنان النفس، وهي الطريق للابتعاد عن المعصية، وقد بيَّن الله تعالى أنَّ حُبَّه شرطٌ من شُروط الإيمان، وأنَّ حُبَّ العبد لربِّه أعظم من أي شيءٍ آخر، ومحبَّة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام، فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾[١]، وروى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك- رضي الله عنه- أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم:" ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يُحبَّ المرء لا يُحبُّه إلَّا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذَفَ في النار"[٢]. قال العلامة محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله-: محبَّة الله مرتبة عالية عظيمة، ووالله إنَّ محبَّة الله لتُشترى بالدنيا كُلِّها، وهي أعلى من أن تُحِبَّ اللهَ، فكونُ اللهِ يُحبُّك أعلى من أن تُحبَّه أنتَ، ولهذا قال بعض العلماء: الشأن كلُّ الشأن في أنَّ الله يُحبُّكَ، لا أنَّك تُحبُّ الله[٣].

ولمحبَّة الله جلَّ جلاله أسبابٌ؛ منها: تقوى الله، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[٤] والتقوى هي: أن يجعل المسلم بينه وبين ما يخشاه من ربِّه من غضبه وسخطه وعقابه؛ وقاية تقيه من ذلك، وذلك بفعل طاعته واجتناب معاصيه، وقد سأل عمر بن الخطاب أُبَيَ بن كعب- رضي الله عنهما- فقال له: ما التقوى؟ فقال أُبَي: يا أمير المؤمنين؛ أما سلكتَ طريقًا فيه

---

(١) البقرة: ١٦٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢) برقم (١٦) كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٦) برقم (٤٣) كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

(٣) ينظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ٢٢٦). شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ.

(٤) التوبة: ٤.



شوك؟ قال: نعم. قال: ما فعلتَ؟ قال عمر: أُشمّر عن ساقي، وأنظر إلى مواضع قدمي، وأُقدِّم قدمًا وأُؤخِّر أخرى، مخافة أن تصيبني شوكة. فقال أُبَي بن كعب: تلك التقوى[١]!.

وأهل التقوى هم أولياء الله في الحقيقة، قال الله تعالى فيهم: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾[٢] فالمتقون هم أصحاب الولاية حقًّا، المجتهدون في فعل الطاعات والنوافل،" وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ". رواه البخاري،[٣] وجاء في صحيح مسلم:" إنَّ الله يُحبُّ التقي الغني الخفي"[٤]. فالتقوى من أسباب محبَّة الله، والإحسان يكون بين العبد وبين ربِّه؛ بإخلاص العمل لله جلَّ وعلا أن يعبدَ المسلمُ ربَّه كأنَّه يراه، فإن لم يكن يراه، فاعلم– يا عبد الله– بأنَّه يراك، ويعلم سرَّك ونجواك، ولا يخفى عليه شيءٌ من أمرك، سواء كنتَ في غرفة مظلمة، أو في سفرة، أو في أي مكان من الأماكن، فإنَّ الله جلَّ في علاه ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾[٥].

والإحسان يجلب محبَّة الله، فالقلوب قد جُبلتْ على محبَّة مَن أحسنَ إليها، وبُغْض مَن أساء إليها، ولا أحدَ أعظم إحسانًا على أحدٍ من الله عزَّ وجلَّ؛ فإنَّ إحسانه على عبده في كلِّ نفسٍ ولحظةٍ، والعبد يتقلَّبُ في نِعَمِ الربِّ دائمًا في كل الأحوال، ويكفي أنَّ بعض أنواع نعمِهِ– كالنَّفَس– لا تخطر على بال العبد، فما الظنُّ بالنِّعَمِ الأخرى إذا أردتَ أن تَعُدَّ؟ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٦] فكيف بالمضِرَّات التي يصرفها ويدفعها عنك؛ إضافة لهذه النعم والإحسان؟

ومن أسباب محبَّة الله اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم بتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهي عنه وزجر؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[٧]، قال ابن رجب– رحمه الله–: ومحبَّة الرسول صلى الله عليه وسلم على درجتين؛ إحداهما فرضٌ: وهي المحبَّة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول صلى الله

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٦٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٥) برقم (٦٥٠٢) كتاب الرقاق باب التواضع.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (/ ٤٢٢٧٧) برقم (٢٩٦٥) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) غافر: ١٩.

(٥) النحل: ١٨.

(٦) النحل: ١٨.

(٧) آل عمران: ٣١.



عليه وسلم من عند الله، وتلقِّيه بالمحبَّة والرضا، والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حُسْن الاتِّباع له فيما بلغه عن ربِّه من تصديقه في كلِّ ما أخبر به من الواجبات، والانتهاء عمَّا نهى عنه من المحرَّمات، ونصرة دينه، والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لا بُدَّ منه، ولا يتمُّ الإيمانُ بدونه.

والدرجة الثانية فضْل: وهي المحبَّة التي تقتضي حُسْن التَّأسِّي به، وتحقيق الاقتداء بسُنَّته؛ في أخلاقه وآدابه، ونوافله وتطوُّعاته، وأكله وشربه ولباسه، وحُسْن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة، وأخلاقه الطاهرة والراقية، والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه، واهتزاز القلب عند ذكره، وكثرة الصلاة والسلام عليه، لِما سكن في القلب من محبَّته، وتعظيمه وتوقيره، ومحبَّة استماع كلامه، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين، ومن أعظم ذلك الاقتداء به في زهده في الدنيا الفانية، والاجتزاء باليسير منها، والرغبة في الآخرة الباقية(١).

ومن أسباب محبَّة الله للعبد التَّطهُّر؛ فلقد عني الإسلام كثيرًا بمعنى الطهارة روحيًّا وبدنيًّا، إذ يقول تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٢)، وكلمة التَّطهُّر بهذه الصيغة تُفيد قيام المسلم بأفعالٍ مقصودةٍ للوصول إلى حالة الطهارة بدنيًّا وروحيًّا، واقتران ذكْر الآية للتَّطهُّر وحُبِّ الله للمُتطهِّرين بحُبِّه للتَّوَّابين، لأنَّ التوبة تُطهِّر القلوب من أمراضها، كالغلِّ والبُغض، والحسد والرياء والنفاق، وغيرها من أمراض القلوب. أمَّا التَّطهُّر القلبيُّ فهو يبدأ من اللحظة التي تدرك فيها ما يُعكِّر صفو قلبك، كأن تشعر بالغيرة مثلًا، أو أن تشعر بالحقد تجاه أحدهم، ومن ثم تتَّبع ما تُفكِّر فيه، وتعالج الأفكار التي أدَّت بك إلى هذا الشعور، ثم تعزم على التوبة، وعلى أن تنشغل بنفسك عن خلْق الله.

كذلك من أسباب محبَّة الله للعبد؛ محبَّة الأخ في الله، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم:" أنَّ رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة ترُبُّها؟

---

(١) ينظر: استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس (ص ٣٢٤). استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس [مطبوع ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي]، المؤلف: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)، دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) البقرة: ٢٢٢.



قال: لا، غير أنِّي أحببتُه في الله عزَّ وجلَّ، قال: فإنِّي رسول الله إليك؛ أنَّ الله قد أحبَّك كما أحببتَه فيه". رواه مسلم[١].

ومن محبَّته أيضًا له أنَّه يُظلُّه في ظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، قال صلى الله عليه وسلم:" سبعة يُظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، منهم: ورجلانِ تحابَّا في الله، اجتمعا عليه، وتفرَّقا عليه". رواه البخاري ومسلم[٢].

قال الشاعر:

الــــودُّ يبقى وحُبُّ الله يجمعُنا　　على الإخــاءِ وطيبُ القولِ قد عبقَا
والقلبُ يخفقُ إنْ هبَّتْ نسائمُكُم　　فصادقُ الودِّ يجلـو الهــمَّ والأرقَا
واللهُ يجــــزي أضعافًا مُضاعفَة　　لِمَن كان لصاحِبِه قد استبقَا[٣]

**وأخيرًا**؛ ليعلم العبد أنَّه إذا أحبَّ الله حقًّا فسيُحبُّه الله، قال العلَّامة محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله-: إنَّنا نضمن أنَّه مَن أحبَّ الله حقًّا فسيُحبُّه الله؛ لأنَّ الله تعالى يقول:" إذا تَقَرَّبَ عَبْدِي مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ منه ذِراعًا، وإذا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِراعًا تَقَرَّبْتُ منه باعًا، أوْ بُوعًا،وإذا أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً". رواه البخاري ومسلم[٤]، فإذا كانت محبَّتُك لله صادقة؛ فإنَّ محبَّة الله لك مضمونة[٥].

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٨) برقم (٢٥٦٧) كتاب البر والصلة والآداب باب في فضل الحب في الله.
(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.
(٣) لم أقف على قائلها
(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٥٧) برقم (٧٥٣٧) كتاب التوحيد باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٧) برقم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى.
(٥) تفسير العثمين، آل عمران (٢/ ٢٧٦). تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران)، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٥هـ.

## ٧ شعبان

## حادثة الإفك – دروس وعبر

سمَّى علماء السيرة النبوية حادثة اتِّهام أمِّ المؤمنين عائشة– رضيَ الله عنها– بحادثة الإفك، والإفك هو الكذب، وقد قال فيها الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾(١) ففي هذه الحادثة أراد عبد الله بن أُبيّ بن سلول أن يُغيِّر حقيقة سيرة عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاهرة المطهَّرة المبرَّأة، إلى الباطل المليء بالفواحش، وهذه الحادثة مع ما فيها من آلام شديدة؛ تركت وراءها العديد من الحِكم الجليلة، والفوائد الكثيرة، التي ينبغي الاستفادة منها في واقعنا كأفراد ومجتمعات، منها:

**الدرس الأول**: أن تعلم الأُمَّةُ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، شهر كامل ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم شيئًا، ولا يعلم الخبر، ويسأل أصحابه عن عائشة– رضي الله عنها–، فقال عزَّ وجلَّ على لسان نبيِّه– صلى الله عليه وسلم: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾(٢) ولقد أظهرت هذه الحادثة صدْقَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأنَّ القرآن من عند الله، إذ لو كان القرآن من كلامه صلى الله عليه وسلم؛ لكان من السهل عليه صلى الله عليه وسلم أن يُنهي هذه المحنة التي آذتْه وآذتْ زوجته والمسلمين من يوم وقوعها، لكنه لم يفعل، لأنَّه لا يملك ذلك؛ فماذا كان يمنعه– لو أنَّ أمْرَ القرآن بيده– أن ينطق بهذه الآيات من بداية هذا الإفك وهذه الإشاعة الكاذبة، ليحمي بها عرضه، ويقطع ألسنة الكاذبين؟! ولكنَّه ما كان ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾(٣) وهكذا شاء الله أن تكون هذه المحنة دليلًا كبيرًا على بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ونبوَّته في وقتٍ واحدٍ.

---

(١) النور: ١١

(٢) الأعراف: ١٨٨.

(٣) الحاقة: ٤٤ – ٤٧.



**الدرس الثاني**: ظهر في هذه الحادثة فضْل السيدة عائشة- رضي الله عنها-؛ فقد برَّأها الله من الإفك بقرآنٍ يُتلَى إلى يوم القيامة، يتعبَّد المسلمون بتلاوته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[١] ، فكم ارتفعتْ منزلتها- رضي الله عنها- بذلك، وقد كانتْ تقول- كما روى الإمام البخاري-:" ولَكِنِّي واللَّهِ ما كُنْتُ أظُنُّ أنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ في بَرَاءَتي وحْيًا يُتْلَى[٢]"، ومن ثَمَّ فمَنِ اتَّهمها بعد ذلك- بما برَّأها الله به- فهو مُكذِّبٌ لله، ومَن كذَّب الله فقد كفر.

ويقول تعالى:﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾[٣] وحيث كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أطيب الطيبين وخيرة الأولين والآخرين؛ تبيَّن كون الصِّدِّيقة- رضي الله عنها- مِن أطيب الطيبات بالضرورة، قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: فالقدح في عائشة- رضي الله عنها- بهذا الأمر قدْحٌ في النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وهو المقصود بهذا الإفك من قصْد المنافقين، فمجرد كونها زوجة للرسول صلى الله عليه وسلم؛ يُعلِم أنَّها لا تكون إلَّا طيِّبة طاهرة من هذا الأمر القبيح[٤]. ولقد مدح حسان بن ثابت السيدة عائشة- رضي الله عنهما- فقال عنها:

حَصَانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبَةٍ ... وَتُصبِحُ غَرثى مِن لُحومِ الغَوافِلِ
عَقيلَةُ حَيٍّ مِن لُؤَيِّ بنِ غالِبٍ ... كِرامِ المساعي مَجدُهُم غيرُ زائِلِ
مُهَذَّبَةٌ قَد طَيَّبَ اللهُ خِيمَها ... وَطَهَّرَها مِن كُلِّ سوءٍ وَباطِلِ
فَإِنْ كُنتُ قَد قُلتُ الَّذي قَد زَعَمتُمُ ... فلا رَفَعَتْ سَوطي إِلَيَّ أَنامِلي
فَكَيفَ وَوِدّي ما حَييتُ وَنُصرَتي ... لِآلِ رَسولِ اللَّهِ زَينِ المحافِلِ[٥]

---

(١) النور: ١١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٤٤) برقم (٧٥٠٠) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله} [الفتح: ١٥].

(٣) النور: ٢٦.

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٦٥).

(٥) ينظر: الروض الأنف (٧/ ٤٦). الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

**الدرس الثالث**: وجوب التثبُّت من الأقوال قبل نشرها؛ حتى لا يقع الإنسان في الكذب والظلم، ويكون سببًا في نشر الإشاعات والفواحش، قال تعالى﴿ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴾(١) ننظر إلى بلاغة الأداء القرآني في التعبير عن السرعة في إفشاء هذا الكلام وإذاعته دون وَعْي ودون تفكير، فمعلوم أنَّ تلقِّي الأخبار يكون بالأذن لا بالألسنة، لكن مِن سرعة تناقل هذا الكلام فكأنَّهم يتلقَّونه بألسنتهم، كأنَّ مرحلة السماع بالأذن قد أُلغيت، فبمجرد أن سمعوا قالوا؛ فلا تُقبَل الإشاعات إلَّا بدليل ولا تُنقَل بين الآخرين دون أنْ يُدقِّقوا فيه، وهذا الكلام ليس هيِّنًا كما تظنون، إنَّما هو عظيم عند الله؛ لأنَّه تناوُلُ عِرْض مؤمنٍ، وللمؤمن حُرْمتُه، فما بالُك إنْ كان ذلك في حَقِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

**الدرس الرابع**: تقديم الظن الحسن؛ قال تعالى: ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴾(٢) يُوجِّهنا الحقُّ تبارك وتعالى إلى ما ينبغي أن يكون في مثل هذه الفتنة من ثقة المؤمنين بأنفسهم وبإيمانهم، وأنْ يظنُّوا بأنفسهم خيرًا، وينأَوا بأنفسهم عن مثل هذه الاتهامات التي لا تليق بمجتمع المؤمنين، فكان على أوَّلِ أُذنٍ تسمع هذا الكلام على أوَّلِ لسانٍ ينطق به أن يرفضه؛ لأنَّ الله تعالى ما كان ليُدلِّس على رسوله وصَفْوته من خَلْقه، فيجعل زوجته محلَّ شكٍّ واتِّهامٍ فضلًا عن رَمْيها بهذه الجريمة البشعة، والقرآن لا يحثُّهم على ظنِّ الخير برسول الله أو زوجته، وإنَّما ظنِّ الخير بأنفسهم هم؛ لأنَّ هذه المسألة لا تليق بالمؤمنين، فما بالُك بزوجة نبيِّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟!

**الدرس الخامس**: في محنة الإفك بيَّن الله جلَّ وعلا كيف يأتي بالفرج والسرور بعد الشدَّة والبلاء، لما تحيَّرتِ الصِّدِّيقة وأبوها وأمها- رضوان الله عليهم جميعًا- بماذا يُجيبون؛ أتاهم الله عزَّ وجلَّ بما تقرُّ به أعيُنُهم من الوحي الصادق على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل كالغيث الذي جاء بعد القحط والشدَّة. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾(٣)، فإذا كان فيها شدَّة وألم؛ ففيها من الدروس والعبر والتربية للأُمَّة ما يفوق هذا الشرَّ

---

(١) النور: ١٥.

(٢) النور: ١٢.

(٣) النور: ١١.



بكثير، فكم ارتفعت عائشة- رضي الله عنها- حين نزل ببراءتها قرآنٌ يُتلَى إلى يوم القيامة، ومعنى كونه خيرًا لهم؛ أنَّهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم، لأنَّه كان بلاءً مُبينًا ومحنة ظاهرة، وأنَّه نزلت فيه ثماني عشرة آية، بما هو تعظيم لشأن النبي- صلى الله عليه وسلم- وتسلية له، وتنزيه لأُمِّ المؤمنين- رضي الله عنها-.

**الدرس السادس:** الفتن والابتلاءات تُظهِر المنافقين؛ بعد هذه المحنة ظهر المنافقون، فالمنافقون مُندسُّون في الصف، والمؤمنون يعرفون أعداءهم الظاهرين من أهل الكفر، لكنَّهم لا يعرفون المنافقين الذين يندسُّون في الصفوف، فتأتي المحن، وتأتي الفتن؛ لتُظهِر ما تُكنُّه الصدور من نفاق، ولتُظهِر ما تُكنُّه القلوب من حقدٍ على الإسلام وأهله، فظهر النفاق.

**الدرس السابع:** تشريع حدِّ القذف، فعندما وقعت حادثة الإفك أراد الله عزَّ وجلَّ أن يشرع بعض الأحكام التي تُساهم في المحافظة على أعراض المؤمنين؛ ومن ثَمَّ حرَّم الإسلام القذف، وأوجب على منِ اتَّهم عفيفًا أو عفيفة بالزنا- وهم منه براء- حَدَّ القذف، وهو الجلد ثمانين جلدة، وعدم قبول شهادته إلَّا بعد توبته توبة صادقة نصوحًا، وفي ذلك صيانة وحفظ للمجتمع من أن تشيع فيه ألفاظ الفاحشة، لأنَّ كثرة الحديث عن الفاحشة وترددها في الألسن؛ يُهوِّن أمرها لدى سامعيها، ويُجَرِّئُ ضعفاء النفوس على ارتكابها، أو رمْي الناس بها، وفي ذلك تربية للمجتمع الإسلامي الأوَّل ليكون نموذجًا للمجتمعات بعد ذلك.

## ٨ شعبان

## ذكْر الله تعالى بالغُدوِّ والآصال

فإنَّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وتعتريها العلل والأمراض كما تعتري الأبدان، والمرء مُحاطٌ بنفسه الأمَّارة بالسوء وهواه والشيطان، فلا غنى له عمَّا يحفظه ويدفع عنه المخاوف ويُطمئنه؛ ألا وإنَّ من أكثر ما يدفع تلكم الأدواء، ويُحرز من الأعداء؛ كثرةَ ذكْر الله عزَّ وجلَّ، زيَّن الله بذكْره ألسنة الذاكرين؛ كما زيَّن بالنور أبصار الناظرين، واللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصمَّاء، واليد الشلَّاء؛ ففي الحديث:" مثل الذي يذكر ربَّه والذي لا يذكر ربَّه؛ مثل الحيِّ والميت". رواه البخاري[(١)].وقد حثَّ الله عزَّ وجلَّ على ذكْره بالغدوِّ والآصال؛ حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[(٢)]والمراد: يذكرون الله في أدبار الصلوات غدوًّا وعشيًّا، وفي المضاجع، وكلَّما استيقظ من نومه، وكلَّما غدا أو راح.

وذكْر الله عزَّ وجلَّ هو العبادة السهلة اليسيرة لجميع الأوقات، ومختلف الأحوال والمناسبات. وفي صحيح البخاري ومسلم:" كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم[(٣)]"، وقال صلى الله عليه وسلم:" أحبُّ الأعمال إلى الله تعالى أدومُها وإن قلَّ". رواه البخاري ومسلم[(٤)].

والذِّكر مفهومه شامل، وله معنيان: معنًى عام؛ ويشمل كلَّ أنواع العبادات من صلاة، وصيام، وحج، وقراءة قرآن، وثناء، ودعاء، وتسبيح، وتحميد، وتمجيد، وغير ذلك من أنواع الطاعات؛ لأنَّها إنَّما تُقام لذكر الله تعالى، وطاعته، وعبادته.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٦) برقم (٦٤٠٧) كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل.

(٢) الأحزاب: ٤١ – ٤٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٦٢) برقم (٧٥٣٧) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة} [الأنبياء: ٤٧]، وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٢) برقم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٨) برقم (٦٤٦٤) كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٤١) برقم (٧٨٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره.



قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: كلُّ ما تكلَّم به اللسان، وتصوَّره القلب ممَّا يُقرِّب إلى الله من تعلُّم علمٍ، وتعليمه، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، فهو من ذِكْر الله[١].

ومعنًى خاص؛ وهو ذِكْر الله عزَّ وجلَّ بالألفاظ التي وردتْ عن الله من تلاوة كتابه، أو الألفاظ التي وردتْ على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وفيها تمجيد، وتنزيه، وتقديس، وتوحيد لله، والمقصود في هذه السُّنَّة هو المعنى الخاص.

وأفضل الذكر وأنفعه تلاوة القرآن الكريم، ثم ما ثبُتَ عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأذكار الجامعة النافعة.

وكان الصحابة مع القرآن بالغدوِّ والآصال أحرص الناس عليه؛ فكانوا يتحسَّرون لفواته؛ فجعل لهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فرصة يُعوِّضون بها ما فاتهم من القرآن، روى مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شيءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ؛ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ[٢]".

وعن عبد الله بن عَمْرٍو- رضي الله عنه- قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" اقْرَأْ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً. قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي عِشرينَ لَيْلَةً، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً. قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ". رواه البخاري ومسلم[٣].

فجمعوا في ليلهم تلاوة كتاب الله تعالى، وسائر الأذكار المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فللَّه درُّه من ليلٍ طاب بإحياء أهله له، ويا لخسارتنا وتهاوننا وتفريطنا بليالينا وأسحارنا!

والذِّكر من حيث موضعه على نوعين: ذِكْر مُقيَّد، وذِكْر مُطلَق؛ فأذكار ما بعد الصلوات، أو الذِّكْر الذي يكون بعد الأذان، وكذا كلُّ ذِكْر قاله النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في مكانٍ أو وقتٍ مُعيَّن، فإنَّه يُقدَّم على سائر الذِّكر المطلق؛ لأنَّه بهذا يحصل على اتِّباع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فيفعل كفعله صلى الله عليه وسلم، فلو سلَّم من صلاته المفروضة فإنَّ الأفضل في حقِّه أن يأتي

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥١٥) برقم (٧٤٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٩٦) برقم (٥٠٥٤) كتاب فضائل القرآن باب في كم يقرأ القرآن. ومسلم في صحيحه واللفظ له (٢/ ٨١٤) برقم (١١٥٩) كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم.



بأذكار ما بعد الصلاة، ولا يأتي بغيره من الأذكار ولو كان فاضلًا كقراءة القرآن؛ لأنَّه هكذا فعَلَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، والخير تمام الخير في التَّأسِّي به صلى الله عليه وسلم.

وينبغي للمسلم ألَّا يكون ممَّن قلَّ ذكْره لربِّه، ويُبادر للحفاظ على تلك النوائل العظيمة، والفضائل الجسيمة التي تكون في الذِّكْر، ويحاول شيئًا فشيئًا تعويد نفسه على هذه العبادة، فيُعوِّد نفسه التي لطالما نفهت من الطاعة، فيأخذ من سُنَّة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم نوعًا، ويُحافظ عليه مُدَّة حتَّى إذا استمكن منه وصار هذا الذِّكر من عمله في يومه وليلته؛ حمل نفسه ورفع توقها، فتاقتْ لذكْرٍ آخرَ، وهكذا حتى يكون من (المفَرِّدين)، وهم الذاكرون الله تعالى كثيرًا والذاكرات؛ فيكون من الذين سبقوا بقول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال:" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ (جُمْدَانُ)، فَقَالَ: سِيرُوا، هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ. قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ[1]".

والمفرِّدون عرَّفهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بالذاكرين الله تعالى كثيرًا والذاكرات، والمفرِّدون في اللغة من الانفراد، فكأنَّهم انفردوا عن غيرهم بذكْر الله تعالى؛ فلم يصلْ كثيرٌ من أقرانهم إلى ما وصلوا إليه.

وقبيحٌ أن يكون القلبُ خاليًا من ذكر الله تعالى، واللسانُ يابسًا من ذلك، وقد قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لرجل جاءه قال له:" إِنَّ شرائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا؛ فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ، قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ". رواه أحمد والترمذي[2].

وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلبُ اللسانَ، وبعث على خشية الله وطاعته، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[3].

قال ابن القيم- رحمه الله- في كتابه مدارج السالكين في فصل (منزلة الذكْر): ومن منازل (إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين) منزلة الذِّكر، وهي منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزوَّدون، وفيها

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٢) برقم (٢٦٧٦) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٩/ ٢٢٦) برقم (١٧٦٨٠). والترمذي في جامعه (٥/٤٥٧) برقم (٣٣٧٥) أبواب الدعوات باب ما جاء في فضل الذكر. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٤٦) برقم (٣٧٩٣) كتاب الأدب، باب فضل الذكر. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٠٢).

(٣) آل عمران: ١٣٥.

يتَّجِرون، وإليها دائمًا يتردَّدون، والذِّكْر منشور الولاية، الذي مَن أُعطيه اتَّصل، ومَن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطَّلت عنه صارت بورًا، وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلَّما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا ازداد المذكور محبَّةً إلى لقائه واشتياقًا، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يُغلقْه العبد بغفلته(١).

يقول الشاعر أبو نواس في فضل الذكْر:

يَا ربِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً ... فلقد عَلِمْتُ بِأَنَّ عفوك أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ ... فَمَن الذي يَدْعُو ويَرْجُو المجرمُ
أَدْعُوكَ رَبِّ كمَا أمرتَ تَضَرُّعًا ... فَإِذَا رَدَدَّتَ يَدِي فمَن ذا يَرْحَمُ
مَالِي إِلَيْــكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَــا ... وَجَمِيلُ عَفْـوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُســلِمُ(٢)

وأفضل ما نختم به وصية المصطفى صلى الله عليه وسلم لسيِّدنا معاذ بن جبل- رضي الله عنه- إذ قال له رسول الله- صلى الله عليه وسلم:" أوصيك يا معاذ؛ لا تدَعنَّ دُبرَ كلِّ صلاةٍ أن تقول: اللهمَّ أعنِّي على ذِكرك وشُكرك وحسن عبادتك". رواه أحمد وأبو داود والنَّسائي بسند قوي(٣).

---

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٩٥- ٣٩٦). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٢) ينظر: البداية والنهاية (١٤/ ٨٣). البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٤٣٠) برقم (٢٢١١٩). وأبو داود في سننه (٢/ ٨٦) برقم (١٥٢٢) باب تفريع أبواب الوتر باب في الاستغفار. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٤٧) برقم (٩٨٥٧) كتاب عمل اليوم والليلة، الحث على قول: «رب أعني على ذكرك، وشكرك وحسن عبادتك» دبر الصلوات. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣/ ٤٣١).



## ٩ شعبان

# أذكار الصباح والمساء

أذكار الصباح والمساء من أهمِّ الأذكار التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها على الإنسان المسلم للتقرُّب منه؛ فالذكْر غذاء الروح، وهو الذي يُقوِّي صلتنا بالله تعالى، ويحمينا من وساوس الشياطين، ومن كلِّ أذى أو عارضٍ يُمكن أن يمُرَّ بنا، لذلك لا بُدَّ من قراءة أذكار الصباح والمساء يوميًّا، وفضلها مذكور في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

فللمواظبة على قراءة أذكار الصباح والمساء في مواعيدها؛ فضل عظيم يعود على الإنسان في حياته، وكذلك يُؤثِّر على نفسيّته بالإيجاب، ويُهدِّئ من توتره وقلقه؛ لأنَّها من أحبِّ الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى، حيث قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾[1]، ولقد بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك من خلال بعض الأحاديث الشريفة التي أوضحت أنَّ المواظبة على قراءة أذكار الصباح والمساء تعمل على تحصين المسلم من الشياطين، وتُعلِّق قلب المسلم بالله أكثر فأكثر، وتعمل على زيادة البركة في الصحَّة، والمال، والأطفال، وفي البيت كلِّه عمومًا.

كما تساعد أذكار الصباح والمساء في زيادة الحسنات، وتعمل على محو السيئات، وتحمي الإنسان المسلم من شرِّ أيِّ مخلوقٍ سواء كان من الإنس أو الجن، كما أنَّها تعمل على تقريبه إلى الله سبحانه وتعالى ليعفو عنه ويغفر له، كما تُنير بصيرة المسلم؛ فاحرص دومًا أن تبدأ يومك بذكر الله سبحانه وتعالى حتى يبدأ يومك بالبركة والخير والرزق، كما أنَّها تُساعد على دفْع الإنسان معنويًّا بطريقة إيجابيَّة لبدء يومه في طاعة الرحمن، لكفِّ الأذى والحسد، ولحفظ النفس من كلِّ شرٍّ.

وترجع أهمية أذكار الصباح والمساء إلى أنَّها تكسب المسلم رضا الله سبحانه وتعالى، وتجلب الرزق للمسلم الملتزم بها، وتريح القلب، وتنشر الطمأنينة والراحة النفسية في قلب المسلم؛ كما تطرد الشيطان وتعيذ المسلم منه، وتزيل الهم والغم وتمنح القلب البهجة والسرور، وتنير الوجه، وتمنح القلب الاستشعار بعظمة الخالق جلَّ جلاله، وتُعيد المسلم إلى الله عزَّ وجلَّ، وتُقرِّبه منه سبحانه وتعالى، كذلك تُقوِّي خشوع المؤمن، وتُورثه الإنابة، وتساعد المسلم في المداومة على الذكر والتسبيح، فالله سبحانه وتعالى يكون بالقرُب من المسلم في الشدَّة إذا اقترب منه في الرخاء.

---

(١) ق: ٣٩.



كما تنجي المسلم من عذاب الله عزَّ وجلَّ، وتُؤمِّن العبد من فزع يوم القيامة، وتُنير للعبد طريقه في دنياه وآخرته وعند الصراط المستقيم، وتعمل على تطهير اللسان وإشغاله بالذكر عن الغيبة والنميمة والقول الفاسد، وتُزيل القسوة من قلب المسلم وتلين جانبه، فالذكر شفاء للقلب، وتساعد المسلم في المداومة على شكر الله سبحانه وتعالى على نعمه التي لا تُحصَى ولا تُعَدُّ، وهي أذكار بسيطة لا تأخذ من وقت المسلم وقتًا طويلًا، فأداؤها لا يحتاج لأكثر من عشر دقائق، والتزامها فيه متعة وراحة واطمئنان، فكلُّ مسلمٍ عليه أن يأخذ من وقته الصباحي والمسائي وقتًا قصيرًا لأداء هذه العبادة العظيمة التي تعود عليه بالخير والمنفعة، وتُرضي خالقه جلَّ وعلا.

واشتهر عن العلَّامة محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله- قوله: أذكار الصباح والمساء أشدُّ من سُوْر يأجوج ومأجوج في التحصين لمن قالها بحضور قلب[١].

وأفضل أوقات قراءة أذكار الصباح من بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، حيث يُعتبَر هذا أفضل وقت لمناجاة الله والدعاء، وقال مجموعة من العلماء: إنَّه من الممكن أن يمتدَّ الوقت ليصبح قبل صلاة الظهر بقليل، حيث يختلف وقت بدء الصباح ونهايته.

ولا يشترط الوضوء أو حتَّى ارتداء الحجاب للمرأة عند قراءة أذكار الصباح، ولكن هناك مجموعة من الآداب التي يُفضَّل أن تحدث وقت القراءة مثل: فهْم الأذكار والقراءة بتعلُّمٍ وخشوعٍ.

والقراءة بصوت خافت؛ يسمعه مَن يقرأ فقط حتَّى يتردَّد الصوت في أذنه من دون أن يتسبَّب ذلك في تشويش أو إزعاج لمن حوله.

كما يُفضَّل قراءة أذكار الصباح بشكلٍ مُنفرِدٍ اتباعًا لسُنَّة النبيِّ محمد صلى الله عليه وسلم، وتكون عند الانتهاء من صلاة الفجر، يُفضَّل البدء في قراءة هذه السور والآيات حيث نبدأ بها قبل الأدعية والأذكار.

أمَّا قراءة أذكار المساء قبل النوم فهي تضمن للمسلم نومًا هانئًا، وعلاج الأرق ومشاكل النوم والاضطرابات التي تصيبه أثناء النوم؛ من عدم القدرة على النوم لساعات متواصلة أو النوم بعمق.

وهناك أوقات مُعيَّنة يُفضَّل فيها قراءة أذكار المساء؛ وهي من بعد صلاة العصر، حتى غروب الشمس في الأفق، وهناك قول آخر من العلماء أنَّه يُمكن قراءة أذكار المساء من بعد صلاة العصر حتى الثلث الأخير من الليل، والبعض الآخر من العلماء أكَّد أنَّ أفضل الأوقات لقراءة أذكار المساء هي من بعد غروب الشمس حتى الثلث الأخير من الليل.

---

(١) ينظر: حساب العلامة ابن عثيمين على تويتر:

وقد سُئل العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله-: ما هو وقت أذكار المساء؟ وما هو الوقت الأفضل لها؟ وهل تُقضَى عند نسيانها؟ فأجاب- رحمه الله-: الحمد لله، المساء واسع من بعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء، كلُّها يُسمَّى مساء، وسواء قال الذكْر في الأول أو في الآخر إلَّا ما ورد تخصيصه بالليل؛ مثل آية الكرسي، فالذي يكون مُقيَّدًا بالليل يُقال بالليل، والذي يكون مُقيَّدًا بالنهار يُقال بالنهار، وأمَّا قضاؤها إذا نُسيَتْ فأرجو أن يكون مأجورًا عليه، وقد كان الصحابة- رضي الله عنهم- يقضون ما فاتهم من الأذكار التي كانوا يفعلونها في أوقات مخصوصة(١)؛ فعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن نام عن حزبه، أو عن شيء منه، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر؛ كُتب له كأنَّما قرأه من الليل". رواه مسلم(٢)، وقال سليمان الداراني- رحمه الله-: إذا فاتَك شيء من التطوُّع فاقضِ، فهو أحرى ألَّا تعود إلى تركه (٣).

قال الإمام النووي- رحمه الله-: اعلم أنَّ الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها- واجبة كانت أو مُستحبَّة- لا يُحسب شيءٌ منها ولا يُعتدُّ به حتى يتلفَّظ به بحيث يُسمِع نفسه، إذا كان صحيح السمع لا عارض له(٤)، والأصل في الأدعية والأذكار المأثورة التوقيف من حيث الصيغة والعدد، فلا يُزاد في العدد المحدَّد ولا يُنقَص منه، وكذلك يلتزم بألفاظها دون زيادة ولا نقص، ودون رواية لها بالمعنى؛ لأنَّنا نتعبَّد لله بذكْرها.

وقد سُئل العلَّامة ابن باز- رحمه الله-: ما الأفضل في الذكْر؟ هل مُلازمة ذكْر مُعيَّن والاستمرار عليه، أم التنويع في الأذكار؟ فأجاب: يُنوِّع الأذكار كما جاءت به النصوص، يأتي بالأذكار مُنوَّعةً كما جاءت به النصوص، وأفضلها:" سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر"، كما قال النبيُّ- صلى الله عليه وسلم:" أحبُّ الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله،

---

(١) ينظر لهذا المعنى: لقاء الباب المفتوح (١٩٢/ ١٤، بترقيم الشاملة آليا). ولم أقف على نص الفتوى. لقاء الباب المفتوح، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)، [ لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس. بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ].

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥١٥) برقم (٧٤٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض.

(٣) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٢٦١). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٤) الأذكار للنووي (ص: ١٣). الأذكار، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

والله أكبر". رواه مسلم[١]، وفي اللفظ الآخر:" الباقيات الصَّالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله[٢]" رواه ابن حبان، وأفضلها على الإطلاق:" لا إله إلَّا الله وحده، لا شريكَ له، له الملك، وله الحمد، يُحيي ويُميت، وهو على كل شيءٍ قدير"، كما قال صلى الله عليه وسلم:" الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة- أو قال: بضعٌ وستون شعبة- فأفضلها قول: لا إله إلَّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان". رواه مسلم[٣]؛ ولأنَّ "لا إله إلَّا الله" هي أصل الدِّين، وهي أساس الملَّة، وهي أفضل الكلام[٤].

**خاتمة**: حِفْظ الأذكار مُرتَّبة ترتيبًا ثابتًا يُعين الذاكر على أن يأتي بها غيبًا مُجتمعة دون أن يفوته منها شيء؛ فيجب أن يُواظِب عليها المسلم، لتحصين نفسه من العين والحسد، كما أنَّ الأذكار تُشعِر الإنسان أنَّه في معيَّة الله عزَّ وجلَّ، كما تُشعِره بالراحة النفسية.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦٨٥) برقم (٢١٣٧) كتاب الآداب باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٣/ ١٢١) برقم (٨٤٠). والحديث صححه الألباني بشواهده كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٧٨٥). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، جـ ٦: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٦٣) برقم (٣٥) كتاب الإيمان باب شعب الإيمان.

(٤) من أسئلة لمحاضرة بعنوان: فوائد الذكر. ينظر موقع الشيخ ابن باز عليه رحمة الله.



## ١٠ شعبان

## أذكار النوم

للذكْرِ معانٍ عديدة؛ منها: الثناء في الخير، ومنها الصلاة لله عزَّ وجلَّ، ومنها الطاعة والدعاء. ومعنى الذكْر في الاصطلاح: التخلُّص من الغفلة والنسيان.

وتتعدَّد أنواع الأذكار؛ فمنها ما هو غير مخصوصٍ بوقتٍ مُعيَّن، ومنها ما هو مخصوصٌ بوقت مثل: أذكار الصباح والمساء، والذكْر في هذين الوقتين مُستحَبٌّ؛ حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَأَنْ أَقْعُدَ مع قَومٍ يَذْكُرُونَ اللهَ تعالى من صلاةِ الغَدَاةِ حتى تَطْلُعَ الشَّمسُ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ من أنْ أَعْتِقَ أرْبعةً من ولدِ إِسماعيلَ، ولَأَنْ أَقْعُدَ مع قَومٍ يَذْكُرُونَ اللهَ من صلاةِ العَصْرِ إلى أنْ تَغْرُبَ الشَّمسُ؛ أحَبُّ إِلَيَّ من أنْ أَعْتِقَ أرْبعةً[(١)]" رواه أبو داود.

وكذلك أذكار النوم مخصوصة بنوم الليل، ولا حرج أن يأتي بها المسلم بنوم النهار إلَّا ما دلَّ الدليل على أنَّها من أذكار الليل، ولها فضائل عظيمة وجليَّة، ومن الوصايا والسُنن المستحبَّة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذا يُستحَبُّ قبل دخول الفراش قراءة أذكار النوم والتحصين قبل الاضطجاع؛ لقول الله عز وجل في سورة آل عمران: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[(٢)] فمن السُنن الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة أذكار النوم والتحصين في الليل، ويُعدُّ الحرص على هذه الأذكار سببًا لجلب النفع والخير للمسلم ودفع الضرر والشرِّ عنه وتحفظه من كل مكروه، كما أنَّ من ضمن عبادته تعالى المحافظة على الدعاء والذكْر، وإنَّ مما يزيد المسلم أجرًا وبرًّا؛ ذكْر الله تعالى عند النوم وعند الاستيقاظ، مما يجعله- بإذن الله- محفوظًا من نَزَغَات الشيطان وشرِّهِ، ولا شكَّ أنَّ الذكْر يُقوِّي البدن، كما ذكر ابن القيم- رحمه الله تعالى-، ومصداق ذلك قصَّة عليٍّ وفاطمة- رضي الله عنهما؛ حيث اشتكت فاطمة- رضي الله عنها- للنبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى من الرَّحى، وأنها تريد خادمًا، فأرشدها النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن تقول:"

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٣/ ٣٢٤) برقم (٣٦٦٧) كتاب العلم باب في القصص. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٨٩٩). صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٢) آل عمران: ١٩١.

سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين، ثم تختم المائة بقول: " الله أكبر[١]" والحديث في صحيح البخاري ومسلم بطوله، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى-: بلغَنا أنَّه مَنْ حافظ على هذه الكلمات؛ لم يأخذْه إعياءٌ فيما يُعانيه من شغل ومن غيره[٢].

وعن كيفية قراءة أذكار النوم فإنه يُستحبُّ بعد أن يدخل المسلم فراشه أن يبدأ بقراءة أذكار النوم، ولكن لو فعل هذا قبل أن يضطجع فلا يُعتبَر أمرًا مُحرَّمًا، ولكن من السُّنَّة أن تتمَّ قراءة أذكار النوم عند الاستلقاء، فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون دعاء النوم آخر ما يتكلَّم به المسلم قبل نومه حيث قال:" إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أسْلَمْتُ وجْهِي إلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أمْرِي إلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولَا مَنْجَا مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بكِتَابِكَ الذي أنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ، فإنْ مُتَّ مِن لَيْلَتِكَ؛ فأنْتَ علَى الفِطْرَةِ، واجْعَلْهُنَّ آخِرَ ما تَتَكَلَّمُ بهِ". رواه البخاري ومسلم[٣]، ولا بدَّ من التنويه على جواز الاستغفار والحمد بعد الإتيان بهذا الدعاء، أمَّا من تكلَّم بكلامٍ عاديٍّ ليس فيه ذِكْرٌ لله عزَّ وجلَّ؛ فيُشرع له إعادة الأذكار مرَّة أخرى.

ولأذكار النوم العديد من الفوائد التي يجنيها المسلم، منها: نيل الأجر من الله سبحانه وتعالى؛ فكلما ذكَر الإنسان ربَّه ازداد أجره وثوابه، تقوية صلة العبد بربِّه من خلال ذِكْره في جميع الأوقات حتَّى وقت الخلود للنوم، الحماية من كيد الشيطان؛ حيث لا يُمكن للشيطان أن يقترب ممَّن يذكرون الله قبل نومهم؛ كذلك تحمي المسلم من أيِّ شرٍّ قد يضرُّه، مضاعفة حسنات المسلم في الدنيا والآخرة، نيل رضا الله سبحانه وتعالى وشفاعة رسوله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، الشعور بالطمأنينة والراحة النفسية، الحماية من العين والحسد، غفران الذنوب، استشعار القُرْب من الله عز

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٦٥) برقم (٥٣٦٢) كتاب النفقات باب خادم المرأة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩١) برقم (٢٧٢٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التسبيح أول النهار وعند النوم.

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٥٨). المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٨) برقم (٢٤٧) كتاب الوضوء باب فضل من بات على وضوء. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨١) برقم (٢٧١٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

وجل، وبالتالي الابتعاد عن كُلِّ ما هو مُحرَّم أو مكروه في الدين، شعور المسلم بقوة جسدية تجعله نشيطًا عند استيقاظه من نومه ليقوم بكافة الأعمال المطلوبة منه، تعلُّم الاتكال على الله في كُلِّ شيء؛ فالإنسان عندما يضع نفسه في الفراش فهو لا يعلم إن كان سيُصبِح في اليوم التالي أم يأخذه الموت فجأة، وهكذا فإنه يتعلَّم أن يُسلِم جميع أموره لله سبحانه وتعالى.

ومن الثابت في السنة النبوية أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سورة الإخلاص والمعوِّذتين قبل النوم؛ حيث كان يرفع كفَّيه وينفُث فيهما أي ينفخ فيهما ثُم يقرأ هذه السور ثلاث مرات، وبعد أن ينتهي يمسح رأسه ووجهه وما استطاع من سائر جسده، وفي هذا الأمر فائدة للمُسلم حتى إذا ما باغته الموت خلال نومه؛ يكون قد مات على خير، إذ يكون آخر ما لفظ به لسانه هو آيات الله عز وجل، ولقد كان للرسول صلى الله عليه وسلم أفضل الأساليب في النوم، فقد قال ابن القيم- رحمه الله-: مَن تدبَّر نومه ويقظته- صلى الله عليه وسلم- وَجَدَه أعدل نوم، وأنفعه للبدن والأعضاء والقوى، فإنه كان ينام أول الليل، ويستيقظ أول النصف الثاني، فيقوم ويستاك، ويتوضَّأ ويُصلِّي ما كتب الله له، فيأخذ البدن والأعضاء والقوى حظَّها من النوم والراحة، وحظَّها من الرياضة مع وفور الأجر، وهذا غاية صلاح القلب والبدن، والدنيا والآخرة[١]، فقد قال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ أحبَّ الصيام إلى الله صيام داود، وأحبَّ الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يومًا، ويُفطر يومًا". رواه البخاري ومسلم[٢]، واعتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينام وقت القيلولة، ويحثَّ الصحابة على ذلك.

وهناك بعض الأوقات التي يُكرَه فيها النوم، مثل النوم بين المغرب والعشاء، ونوم النهار ما عدا القيلولة، فقد قال ابن القيم- رحمه الله- في ذلك: ونوم النهار رديءٌ يورث الأمراض الرطوبية والنوازل، ويفسد اللون، ويورث الطحال، ويرخي العصب، ويكسل، ويضعف الشهوة إلا في الصيف وقت الهاجرة، وأردؤه نوم أول النهار، وأردأ منه النوم آخره بعد العصر، ورأى عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- ابنًا له نائمًا نومة الصبحة، فقال له: قمْ، أتنام في الساعة التي تُقسَّم فيها الأرزاق؟ وقيل: نوم

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢١٩). زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٩) برقم (١١٣١) كتاب التهجد باب من نام عند السحر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨١٦) برقم (١١٥٩) كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم.



النهار ثلاثةٌ: خُلُقٌ، وحرقٌ، وحمقٌ، فالخُلُق: نومة الهاجرة، وهي خُلُق رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، والحرق: نومة الضحى، تشغل عن أمر الدنيا والآخرة، والحمق: نومة العصر، قال بعض السلف: مَن نام بعد العصر فاختلس عقله؛ فلا يلومنَّ إلَّا نفسه، لأن ذلك وقتٌ تطلب فيه الخليقة أرزاقها، وهو وقت قسمة الأرزاق، فنومه حرمانٌ إلَّا لعارض أو ضرورة، وهو مُضِرٌّ جدًّا بالبدن لإرخائه البدن، وإفساده للفضلات التي ينبغي تحليلها بالرياضة، فيُحدِث تكسُّرًا وعيًّا وضعفًا[١].

وقال الشاعر:

ألا إنَّ نومات الضحى تورث الفتى خبالًا، ونومات العصير جنون[٢]

**والخلاصة**: أنَّ في أذكار النوم حصنا من الشيطان وأن من هذه الأذكار قراءة آية الكرسي، وقراءة سورة الإخلاص والمعوّذتين.

وقول:" سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي، بكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وإنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بما تَحْفَظُ به عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ". رواه البخاري ومسلم[٣].

وقول:" باسْمِكَ اللَّهُمَّ أمُوتُ وأَحْيَا". رواه البخاري[٤]، وقول:" الحمدُ للَّهِ الذي أطعَمنا وسقانا، وَكفانا وآوانا، فَكم مِمَّن لا كافِيَ لَهُ ولا مُؤوِي[٥]". رواه مسلم.

وقول:" اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شيءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بكَ مِن شَرِّ كُلِّ شيءٍ أَنْتَ آخِذٌ بنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأوَّلُ فليسَ قَبْلَكَ شيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فليسَ بَعْدَكَ شيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فليسَ فَوْقَكَ شيءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فليسَ دُونَكَ شيءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ". رواه مسلم[٦].

---

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٢١).

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٢١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٠) برقم (٦٣٢٠) كتاب الدعوات باب التعوذ والقراءة عند المنام. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٤) برقم (٢٧١٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧١) برقم (٦٣٢٤) كتاب الدعوات باب ما يقول إذا أصبح.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٥) برقم (٢٧١٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٤) برقم (٢٧١٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.



## ١١ شعبان

## أم المؤمنين خديجة بنت خويلد

هي أمُّ المؤمنين[١]، وأولى زوجات النبيِّ محمد صلى الله عليه وسلم، وأمُّ أولاده، وخيرة نسائه، وأوَّل من آمن به وصدَّقه، هي سيدة نساء العالمين في زمانها؛ السيدة خديجة- رضي الله عنها- بنت خويلد بن أسد القرشيَّة، وأمُّها فاطمة بنت زائدة العامرية، كنيتها أمُّ القاسم، كانت تُلقَّب في الجاهلية بالطاهرة، وُلدت في مكة سنة ثمانٍ وستينَ قبل الهجرة، وكانت تَكبُرُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر عامًا، نشأت في بيت من البيوت الشريفة فغدت امرأة عاقلة جليلة، اشتهرت بالعزم والعقل والأدب الجم؛ لذلك كانت محطَّ أنظار كبار الرجال من قومها.

تزوَّجت قبل النبي صلى الله عليه وسلم من أبي هالة التميمي، فأنجبت منه هالة وهندًا، ثم مات فتزوَّجت من عتيق بن عائذ المخزومي فلبثت معه فترة من الزمن ثم افترقا، وقيل: مات عنها؛ ثم تقدَّم لها بعد ذلك كثيرون من أشراف قريش، لكنها آثرت الانصراف لتربية أولادها وإدارة شؤون حياتها؛ حيث كانت غنيَّة ذات مال.

كان ثراؤها وثراء آبائها وأجدادها معروفًا في بطون العرب، وكانت ترسل كلَّ عامٍ الرِّجال في تجارتها إلى بلاد الشَّام، وكانت ذات تدقيق وتبصُّرٍ فيمن تختاره منهم لِتأمَنَه على سلامة أموالها وربحها، فتختار ذوي الخبرة المخلِصين في عملهم، والمعروفين بنزاهتهم وأمانتهم، وعفَّة أنفسهم؛ فلما بلغها من صدق حديث محمد صلى الله عليه وسلم وعِظَم أمانته؛ عرضت عليه أن يخرج في مالها إلى بلاد الشَّام، فخرج في تجارتها إلى سوق بصرى ليتَّجر لها، وعاد غانمًا رابحًا، ولفت نظرها ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من خُلُقٍ قويم، وحياءٍ وأمانة، فمالت نفسها إليه، ورغبت أن يكون زوجًا لها، وبعد هذا الزواج الميمون أنجبت خديجة- رضي الله عنها- زينب كبرى بنات النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ثم رقيَّة، ثم أمَّ كلثوم، ثم فاطمة الزَّهراء، وولدت له من الأولاد الذكور القاسم، وبه كان يُكنَّى، وعبد الله الذي كان يُلَقَّب بالطَّيِّب والطَّاهر، وقد ماتا صغارًا، ومن الجدير بالذِّكر أن جميع أولاد النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة إلا ولده إبراهيم؛ فهو من جاريته مارية.

---

(١) ينظر في سيرتها: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨١٧)؛ أسد الغابة (٦/ ٧٨). الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. أسد الغابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، عام النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.



كانت السيدة خديجة- رضي الله عنها- أوَّل من آمن به صلى الله عليه وسلم وصدَّقه؛ عندما أنزل الله وَحيه عليه- صلى الله عليه وسلم-، وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذي بشَّره بأنه نبيُّ الأمَّة.

كانت السيدة خديجة- رضي الله عنها- نِعْم الزوجة في كل المواقف التي تعرَّض لها رسول الله- صلَّى الله عليه وسلَّم-، فخفّفت عن المسلمين ما أصابهم من المحن والابتلاءات، وخاصةً ما حلَّ بهم من مقاطعة قريش لبني هاشم وبني عبد المطلب؛ بعدم تزويجهم أو الزواج منهم، وعدم بيعهم أو الشراء منهم، وعدم الرأفة بهم أو قبول الصُلح منهم، وقد استمرت المقاطعة مدة ثلاث سنواتٍ، وقد تحمَّلت السيدة خديجة- رضي الله عنها- ذلك، وصبرت مع زوجها وساندته في ذلك، وعملت على تأمين الطعام للمسلمين المحاصرين في الشِعب بمعاونة ابن أخيها حكيم بن حزام، إذ كان يُرسل الطعام إلى عمَّته ليلًا.

ومن فضائلها- رضي الله عنها- سلام الله عليها على لسان جبريل- عليه السلام- حيث أتى جبريل يومًا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال:" يا رسول الله؛ هذه خديجة قد أتتْ معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا أتتْك فاقرأ عليها السلام من ربِّها ومنِّي، وبشِّرْها ببيت في الجنة من قصب؛ لا صخب فيه ولا نصب". أخرجه البخاري ومسلم(١).

وجاء في البداية والنهاية عند ابن كثير: قال السُّهَيْلي: وإنما بشَّرها ببيت في الجنة من قصب- وهو اللؤلؤ- لأنها حازت قصب السبق إلى الإيمان(٢).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُكثِر من ذكْرها والثناء عليها: فقد قالت عائشة- رضي الله عنها-:"ما غِرت على امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم ما غِرت على خديجة، فغرتُ يومًا فقلتُ: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين، قد أبدلك الله خيرًا منها، فقال- عليه الصلاة والسلام-: ما أبدلني الله خيرًا منها، قد آمنتْ بي إذ كفر الناس، وصدَّقتْني إذ كذبني الناس، وواستْني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني أولادها إذ حرمني أولاد النساء". أخرجه أحمد وأصله عند البخاري ومسلم(٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٣٩) برقم (٣٨٢٠) كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٧) برقم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها.

(٢) البداية والنهاية (٤/ ٣١٧).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤١/ ٣٥٦) برقم (٢٤٨٦٤). وأصله عند البخاري في صحيحه (٥/ ٣٩) برقم (٣٨٢١) كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٨) برقم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها.



وكان- عليه الصلاة والسلام- بارًّا بصويحبات خديجة- رضي الله عنها- وكان يُهدي لهنَّ من الشاة إذا ذبحها، وكان صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة- رضي الله عنها- لم يكن يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها(١).

وكان لها الكثير من المواقف مع الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تدلَّ على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لها، ومنها قول السيدة عائشة- رضي الله عنها-:" ما غِرتُ على أحدٍ من نساءِ النبي صلى الله عليه وسلم ما غِرتُ على خديجةَ، وما رأيْتُها، ولكن كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يُكثرُ ذِكرَها، وربما ذبح الشَّاةَ، ثمّ يُقَطِّعُها أعْضاءً، ثُمَّ يَبْعَثُها في صَدائِقِ خديجَةَ، فربَّما قُلْتُ له: كأنهُ لم يكُن في الدنيا امرأةٌ إلا خديجةُ، فيقول: إنَّها كانتْ، وكانتْ، وكان لي منها ولدٌ". رواه البخاري ومسلم(٢).

هذا الكلام يدلُّ على محبَّة الرسول صلى الله عليه وسلم للسيدة خديجة- رضي الله عنها- وحُسْن العِشرة لها، وحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب، وإكرام أهل ذات الصاحب.

ومن فضلها أيضًا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران". رواه أحمد والنسائي(٣).

يقول الشيخ محمد الغزالي: إن خديجة- رضي الله عنها- من نعم الله الجليلة على محمد صلى الله عليه وسلم، فقد آزرتْه في أحرج الأوقات، وأعانتْه على إبلاغ رسالته، وشاركتْه مغارم الجهاد المرِّ، وواستْه بنفسها ومالها؛ فهي صِدِّيقة النساء، حنَّتْ على رجلها ساعة القلق، وكانت نسمة سلام وبر، رطَّبتْ جبينه المتصبِّب من آثار الوحي، وبقيتْ ربع قرن معه، تَحْتَرِم قَبل الرسالةِ تَأَمُّلَهُ وعُزْلَته وشَمَائِلَه، وتتحمَّل بعدَ الرسالة كيد الخصوم، وآلام الحصار، ومتاعب الدعوة، وماتت والرسول صلى الله عليه وسلم في الخمسين من عمره، وهي تجاوزت الخامسة والستين، وقد أخلص لذكراها طول حياته(٤).

---

(١) ينظر مصادر الحديث السابق تخريجه قريبًا قبل هذا، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٣٨) برقم (٣٨١٨) كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٨) برقم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٤٠٩) برقم (٢٦٦٨). والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ٣٨٨) برقم (٨٢٩٧) كتاب المناقب، مناقب مريم بنت عمران. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠/ ١٢١).

(٤) ينظر: فقه السيرة للغزالي (ص: ١٣١). فقه السيرة، المؤلف: محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ)، الناشر: دار القلم – دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ.



قال الشاعر:

وَتُشرِقُ بَالتَّقوى خَديجَةُ وَالعُلا وَبِالمِصــــطفى الهـــادي المنــــيرِ مُحَمَّـــدِ
يُشَنّفُ سَمعَ المجدِ ذِكرُ خَديجةٍ وَيُفعَـــمُ مِـــنْ عَـــذبِ الثَّنـــاءِ المـــرَدَّدِ
وَعَنْ أَسَدٍ تُروى فُصولُ بُطولَةٍ وَحَـــزمٍ وَإحســـانٍ وَحِلـــمٍ وَمَحتِـــدِ
وسَيِّدَةُ النِّســـــــوانِ طـــاهِرَةٌ فَـــلا تَسَلْ عَنْ سَنا طُهــــرٍ وَلا ظِلِّ سُــؤْدَدِ[١]

تُوفِّيت السيدة خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها- في العام الحادي عشر من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ودُفِنت في الحجون، وقد كان لوفاة السيدة خديجة- رضي الله عنها- أثر قوي على نفس رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

**الخلاصة**: تلك هي أم المؤمنين الأولى، التي اصطفاها ربُّ العالمين لتكون أوَّل من آمن برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وخير مَن نصر الإسلام في بدئه، وأفضل مَن وقف مع النبي المبعوث صلى الله عليه وسلم في بداية مبعثه، إنها سيدة نساء العالمين، حَمل إليها جبريل سلامًا خاصًّا من الله عز وجل، وبشارة بالجنَّة لقاء ما قدَّمتْ، وفضلًا من الله تعالى.

إنها أهل لتحزن على رحيلها القلوبُ، وتبكي على فقدانها العيونُ، وترثيها بعد وفاتها الألسُنُ.

(١) الأبيات من قصيدة بعنوان: سنا الطهر زظل السؤدد (قصيدة في مدح أم المؤمنين خديجة رضي الله عنه).

## ١٢ شعبان

## معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)

إنَّ العروة الوثقى في دين الله هي (لا إله إلا الله) التي جاءت مشتملة على الدين كلِّه، وعلى التوحيد كلِّه، وهي أعظم كلمة ذُكِرت في أعظم آية، فيها أعظم اسم، فهي الكلمة التي من أجلها خَلَقَ الله السموات والأرض، ومن أجلها خَلَقَ الله الملائكة والإنس والجانَّ، ومن أجلها بعث الله الرسل وأنزل الكتب، ومن أجلها تتزلزل الأرض وتُسيَّر الجبال، وتنشقُّ السماء وتنفطر، وتتطاير النجوم وتنكدر، ويُحشَر العباد وتتطاير الصحف، وتوضع الموازين، ويُنصَب الصراط، ومن أجلها خُلِقت الجنة والنار، واختصم فيها الناس إلى متَّقين وفجَّار، فمثوى المؤمنين بها جنات عند ربهم، ومثوى الكافرين النار، لذا كان أول واجب على العباد أن يعلموها حق العلم، وأن يعملوا بمقتضاها.

وأصل كلمة التوحيد من "وحد"، وكل معاني هذه المفردة في اللغة تدلُّ على الانفراد أو المنفِرد، أمَّا في الاصطلاح: فالتوحيد هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإفراده بالعبادة، وإثبات أسمائه وصفاته، وإفراد خصائص الربوبيَّة له وحده، وهو ما جاء يؤكِّده كلام الله سبحانه وكلام نبيِّه الكريم صلى الله عليه وسلم- وكلمة التوحيد: (لا إله إلا الله) معناها؛ أي: لا معبود بحقٍّ إلا الله، وعلى هذا فقد تضمَّنت هذه الكلمة نفيًا وإثباتًا؛ فأمَّا النفي ففي قوله: (لا إله)، تنفي بذلك جميع ما يُعبَد من دون الله، وأمَّا الإثبات ففي قوله: (إلا الله) تُثبت بذلك الإلهيَّة لله وحده، وقال الشيخ ابن باز- رحمه الله-: (لا إله إلا الله) هي أساس الدين، وهي الركن الأول من أركان الإسلام، مع شهادة أن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول الله، كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت". متفق عليه(١).

وفي الصحيحين عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا- رضي الله عنه- إلى اليمن، قال له:" إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله، فإن أطاعوك لذلك فأعلِمْهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١) برقم (٨) كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس». ومسلم في صحيحه (١/ ٤٥) برقم (١٦) كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس.



اليوم والليلة، فإن أطاعوك لذلك فأعلِمْهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة؛ تُؤخَذ من أغنيائهم فتردُّ في فقرائهم". متفق عليه(١).

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله: لا معبود بحقٍّ إلَّا الله، وهي تنفي الإلهيَّة بحقٍّ عن غير الله سبحانه، وتُثبتها بالحقِّ لله وحده، كما قال الله عز وجل في سورة الحج: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾(٢) وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(٣)، وقال أيضًا: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٤) وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾(٥)، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وهذه الكلمة العظيمة لا تنفع قائلها ولا تخرجه من دائرة الشرك إلَّا إذا عرف معناها وعمل به وصدَّق به، وقد كان المنافقون يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم لم يؤمنوا بها ولم يعملوا بها، وهكذا اليهود تقولها وهم من أكفر الناس- لعدم إيمانهم بها-، وهكذا عُبَّاد القبور والأولياء من كفَّار هذه الأمة، يقولونها وهم يخالفونها بأقوالهم وأفعالهم وعقيدتهم، فلا تنفعهم ولا يكونون بقولها مسلمين؛ لأنهم ناقضوها بأقوالهم وأعمالهم وعقائدهم.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن شروطها ثمانية؛ جمعها في بيتين فقال:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقُك … محبَّةٍ وانقيادٍ والقبولِ لها
مع وزِيدَ ثامنَها الكُفرانُ منك بما … سوى الإلهِ من الأشياءِ قد أُلها

وهذان البيتان قد استوفيا جميع شروطها:

**الأول**: العلم بمعناها المنافي للجهل.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٠٤) برقم (١٣٩٥) كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٠) برقم (١٩) كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

(٢) الحج: ٦٢.

(٣) المؤمنون: ١١٧.

(٤) البقرة: ١٦٣.

(٥) البينة: ٥.



**الثاني**: اليقين المنافي للشكِّ، فلا بُدَّ في حقِّ قائلها أن يكون على يقين بأنَّ الله سبحانه هو المعبود بالحقِّ. وقد حثَّ الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- على معرفتها فقال: الذين يقولون: (لا إله إلا الله) يجب أن يعرفوا معناها، وأنَّه لا معبود بحقٍ إلَّا الله، وأنَّ كلَّ ما يُعبَد من دون الله فهو باطل؛ لقول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[1][2].

**الثالث**: الإخلاص، وذلك بأن يخلص العبد لربِّه في جميع العبادات، فإذا صرف منها شيئًا لغير الله من نبيٍّ أو وليٍّ أو ملكٍ أو صنمٍ أو جنِّيٍّ أو غيرها؛ فقد أشرك بالله ونقض هذا الشرط وهو شرط الإخلاص.

**الرابع**: الصدق، ومعناه أن يقولها وهو صادق في ذلك، يطابق قلبه لسانه، ولسانه قلبه، فإن قالها باللسان فقط، وقلبه لم يؤمن بمعناها؛ فإنها لا تنفعه، ويكون بذلك كافرًا كسائر المنافقين. قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: ويُشترَط أيضًا أن يقوم بما تقتضيه هذه الكلمة العظيمة، ومن أهمِّ ما يقوم به الصلاة؛ لأنَّ من ترك الصلاة فهو كافر؛ ولو قال: لا إله إلا الله، ثم إنَّ هذه الكلمة إذا قالها الإنسان وهو يفهم معناها فإنها تستلزم أن يقوم بطاعة الله عز وجل؛ لأن معنى (لا إله إلا الله) لا معبود حقًّا إلَّا الله، وهذا يقتضي أن يعبد هذا الإله الحقَّ. هذا هو الوجه الذي أمر به مُخلِصًا له الدين، مُتَّبِعًا لخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم[3].

**الخامس**: المحبَّة، ومعناها أن يُحبَّ الله عز وجل، فإن قالها وهو لا يُحبُّ الله صار كافرًا لم يدخل في الإسلام كالمنافقين، ومن أدلَّة ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]وقوله سبحانه﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾[5]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) الحج: ٦٢.

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين (٥/ ٥). فتاوى نور على الدرب، المؤلف : فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله.، الناشر : مؤسسة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين الخيرية، الطبعة: الإصدار الأول [١٤٢٧-٢٠٠٦].

(٣) فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين (٥/ ٥).

(٤) آل عمران: ٣١.

(٥) البقرة: ١٦٥.



**السادس**: الانقياد لما دلَّت عليه من المعنى، ومعناه أن يعبد الله وحده وينقاد لشريعته ويؤمن بها، ويعتقد أنَّها الحقُّ؛ فإن قالها ولم يعبد الله وحده، ولم ينقَدْ لشريعته بل استكبر عن ذلك؛ فإنه لا يكون مسلمًا كإبليس وأمثاله.

**السابع**: القبول لما دلَّت عليه، ومعناه: أن يقبل ما دلَّت عليه من إخلاص العبادة لله وحده، وترك عبادة ما سواه، وأن يلتزم بذلك ويرضى به.

**الثامن**: الكفر بما يُعبَد من دون الله، ومعناه أن يتبرَّأ من عبادة غير الله ويعتقد أنَّها باطلة، كما قال الله سبحانه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١] وصحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" من قال: لا إله إلَّا الله، وكفر بما يُعبَد من دون الله؛ حُرِّم ماله ودمه، وحسابه على الله"[٢]، وفي رواية عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:" مَن وحَّد الله وكفر بما يُعبَد من دون الله حُرِّم مالُه ودمُه". أخرجهما مسلم. [٣].

**وختامًا**: فالواجب على جميع المسلمين أن يُحقِّقوا هذه الكلمة بمراعاة هذه الشروط، ومتى وُجِد من المسلم معناها والاستقامة عليه فهو مسلم حرام الدم والمال، وإن لم يعرف تفاصيل هذه الشروط؛ لأنَّ المقصود وهو العلم بالحقِّ والعمل به، وإن لم يعرف المؤمن تفاصيل الشروط المطلوبة.

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٣) برقم (٢٣) كتاب الإيمان باب باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(٣) ينظر فتوى الشيخ ابن باز عليه رحمة الله وكلامه عن هذه الشروط الثمانية: مجموع فتاوى ابن باز (٧/ ٥٤- ٥٧).

## ١٣ شعبان

## فضل كلمة التوحيد

إنَّ خير الكلمات وأجلَّها على الإطلاق؛ كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، فهي الكلمة التي لأجلها قامت الأرض والسماوات، وخُلقت جميع المخلوقات، وبها أُرسلت الرسل وأُنزلت الكتب وشُرعت الشرائع، ولأجلها نُصبت الموازين، ووُضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وانقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفَّار، وأبرار وفجَّار، وهي منشأ الخلْق والأمر، والثواب والعقاب، وعنها يُسأل الأولون والآخرون يوم القيامة، وهي العروة الوثقى، وكلمة التقوى، وهي كلمة الشهادة، ومفتاح دار السعادة، وأساس الدين، وأصله ورأس أمره؛ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[١] ، وكم لهذه الكلمة العظيمة، من الفضائل الجليلة الكريمة، والمزايا الجمَّة، ممَّا لا يُمكن استقصاؤه ولا الإحاطة به، وقد تضمَّنت هذه الكلمة العظيمة أنَّ ما سوى الله ليس بإلهٍ، وأنَّ إلهيَّة ما سوى الله أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، ومنتهى الضلال؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾[٢] ، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٣] والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ولا ريب أنَّ صرف العبادة لغير الله ظلم؛ لأنَّه وضعٌ لها في غير موضعها، بل إنَّه أظلم الظلم، وأخطره على الإطلاق.

وممَّا ورد في فضل هذه الكلمة:

١- أنها هي القول الثابت الذي يُثبِّت الله به الذين آمنوا؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[٤] وعن البراء بن عازب- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" المسلم إذا سُئل في القبر؛ شهد أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، فذلك قوله: [٥] وقال الله

(١) آل عمران: ١٨.

(٢) الأحقاف: ٥ – ٦.

(٣) لقمان: ١٣.

(٤) إبراهيم: ٢٧.

(٥) إبراهيم: ٢٧.



تبارك وتعالى:﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[1] ، قال العلَّامة السعدي- رحمه الله-:" هي شهادة أن لا إله إلَّا الله وفروعها، {كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ} وهي النخلة، {أَصْلُهَا ثَابِتٌ} في الأرض، {وَفَرْعُهَا} منتشر {فِي السَّمَاءِ}، وهي كثيرة النفع دائمًا"، وقال ابن عبَّاس–رضي الله عنهما–:"كلمة التوحيد لا شيء أحلى منها، كشجرة طيبة وهي النخلة، وليس في الثمار أحلى من الرطب[2] ، ولذلك شبَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن في حلاوته ولينه وقوَّته وثبات أصله بالنخلة فقال:" لا يسقط ورقها، مثلها كمثل المؤمن". رواه البخاري ومسلم[3].

٢- أنَّ مَن أتى بها لا يُخلَّد في النار حتَّى ولو كان عمل من الخير قليلًا؛ ما دام أنَّه مُوحِّد؛ لحديث أنس- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة". رواه البخاري ومسلم[4].

وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" يُوضع الصراط بين ظهري جهنم عليه حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس فناجٍ مسلم، ومجدوح به، ثم ناج ومحتبس به منكوس فيها، فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين العباد؛ يفقد المؤمنون رجالًا كانوا معهم في الدنيا يُصلُّون بصلاتهم، ويُزكُّون بزكاتهم، ويصومون صيامهم، ويَحجُّون حجَّهم، ويغزون غزوهم، فيقولون: أي ربَّنا؛ عبادٌ من عبادك كانوا معنا في الدنيا يُصلُّون صلاتنا، ويُزكُّون زكاتنا، ويصومون صيامنا، ويَحُجُّون حجَّنا، ويغزون غزونا؛ لا نراهم، فيقول: اذهبوا إلى النار، فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه؛ قال: فيجدونهم قد أخذتهم النار على قدر أعمالهم، فمنهم من أخذته إلى قدميه، ومنهم من أخذته إلى نصف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه، ومنهم من أزرته،

---

(١) إبراهيم: ٢٤.

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٢٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٢) برقم (٦١) كتاب العلم باب قول المحدث: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٦٤) برقم (٢٨١١) كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب مثل المؤمن مثل النخلة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٢١) برقم (٧٤١٠) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى:{لما خلقت بيدي} [ص: ٧٥]. ومسلم في صحيحه (١/ ١٨٢) برقم (١٩٣) كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

ومنهم من أخذته إلى ثدييه، ومنهم من أخذته إلى عنقه، ولم تغش الوجوه، فيستخرجونهم منها فيُطرَحون في ماء الحياة، قيل: يا رسول الله؛ وما ماء الحياة؟ قال: غسل أهل الجنة، فينبتون نبات الزرعة، وقال مرَّة فيه: كما تنبت الزرعة في غثاء السيل، ثم يشفع الأنبياء في كلِّ من كان يشهد أن لا إله إلَّا الله مُخلِصًا فيخرجونهم منها، قال: ثم يتحنَّن الله برحمته على من فيها، فما يترك فيها عبدًا في قلبه مثقال حبَّة من إيمان إلَّا أخرجه منها". رواه أحمد وابن ماجه(١).

وعن أبي ذر- رضي الله عنه- قال:" أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض، فإذا هو نائم، ثم أتيتُه أُحدِّثه فإذا هو نائم، ثم أتيتُه وقد استيقظ، فجلستُ إليه فقال:" ما من عبد قال: لا إله إلَّا الله، ثم مات على ذلك إلَّا دخل الجنة. قلتُ: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلتُ: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق ثلاثًا، ثم قال في الرابعة: على رغم أنف أبي ذر، فخرج أبو ذر- رضي الله عنه- يجرُّ إزاره وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر، فكان أبو ذر- رضي الله عنه- يُحدِّث بهذا بعد ويقول:" وإن رغم أنف أبي ذر". رواه البخاري ومسلم(٢).

٣- أنها سببٌ في عصمة الدم لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أُمِرتُ أن أُقاتِل الناس حتَّى يقولوا: لا إله إلَّا الله، فمن قال: لا إله إلَّا الله؛ فقد عصم منِّي نفسه وماله إلَّا بحقِّه، وحسابه على الله". رواه البخاري ومسلم(٣).

٤- حصول شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنه قال: قيل: يا رسول الله؛ مَن أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّل منك؛ لما رأيتُ من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلَّا الله؛ خالصًا من قلبه أو نفسه". رواه البخاري(٤).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٧/ ١٤١) برقم (١١٠٨١). وابن ماجه في سننه مختصرًا (٢/ ١٤٣٠) برقم (٤٢٨٠) كتاب الزهد باب ذكر البعث. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٢٨٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٤٩) برقم (٥٨٢٧) كتاب اللباس باب الثياب البيض. ومسلم في صحيحه (١/ ٩٥) برقم (٩٤) كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات مشركا دخل النار.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٠٥) برقم (١٣٩٩) كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة. ومسلم في صحيحه (١/ ٥١) برقم (٢٠) كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣١) برقم (٩٩) كتاب العلم باب الحرص على الحديث.



٥- كلمة التوحيد من أفضل أنواع الذكْر لله تعالى لحديث جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- يقول: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" أفضل الذكْر لا إله إلَّا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله". رواه الترمذي[١].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" من قال: لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على شيء قدير؛ في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضل ممَّا جاء به إلَّا أحدٌ عَمِل أكثر من ذلك". رواه البخاري ومسلم[٢].

قال العلَّامة ابن رجب- رحمه الله-: فأمَّا كلمة التوحيد فإنَّها تهدم الذنوب، وتمحوها محوًا، ولا تُبقي ذنبًا، ولا يسبقها عمل، وهي تعدل عتق الرقاب الذي يُوجب العتق من النار[٣].

**وختامًا**: التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل، ولهذا كان أول واجب يجب على المكلف، وأول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:" مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّة". رواه أبو داود[٤]، فهو أوَّل واجب، وآخر واجب؛ فالتوحيد أوَّل الأمر وآخره، نعني توحيد الألوهية.

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٤٦٢) برقم (٣٣٨٣) أبواب الدعوات باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٠٦) برقم (١٠٥٩٩) كتاب عمل اليوم والليلة، أفضل الذكر، وأفضل الدعاء. وابن ماجه في سننه مختصرًا (٢/ ١٢٤٩) برقم (٤٢٨٠) كتاب الأدب باب فضل الحامدين. والحديث حسنه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٢٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٢٦) برقم (٣٢٩٣) كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧١) برقم (٢٦٩١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٣) طائف المعارف لابن رجب (ص: ٢١٤).

(٤) رواه أبو داود في سننه (٣/ ١٩٠) برقم (٣١١٦) كتاب الأدب باب في التلقين. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٧/ ١١٦). صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية

## ١٤ شعبان

## آداب الدعاء

يُعتبَر الدعاء عبادة من العبادات التي تُقرِّب العبد من الله سبحانه وتعالى، فإنَّ الدعاء يُحقِّق للعبد طلبه وسؤاله، فيتوسَّل إلى الله لينال حاجته، ولقد وعدنا الله عز وجل بالاستجابة، فإنَّ الدعاء يكون بسؤال الله الحاجات، والأخذ بالأسباب التي تُؤدِّي إلى تحقيق المرجو، فما هو الدعاء؟

الدعاء هو إظهار التوسُّل والحاجة لله سبحانه وتعالى، والرجوع إليه، وهو افتقار العبد إلى الله عز وجل، وطلب كشف الغُمَّة، وتحقيق الحاجة من الله، ولقد شرع الله تعالى الدعاء لعباده باعتباره العبادة التي يتمكَّن المسلم من خلالها من التقرُّب إلى الله سبحانه، والحصول على المنفعة بالدنيا والآخرة، وتحقيق سؤاله ومطلبه، يبتهل به إلى الخالق ويتضرَّع إليه لينال حاجته، وقد وعد الله جل وعلا الداعي من عباده بأن يستجيب له؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(١) والدعاء من أفضل العبادات؛ حيث يتوجَّه المسلمون إلى ربِّهم بالدعاء بملء إرادتهم، وهو أحد أهمِّ الوسائل التي يتَّصل بها العبد إلى ربِّه، وهو ما ورد في الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة والنصوص الشرعية، كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يردُّ القضاءَ إلَّا الدُّعاءُ، ولا يزيدُ في العمرِ إلَّا البرُّ". صحيح الترمذي(٢).

والدعاء ينقسم إلى دعاء ثناء، ودعاء مسألة؛ أمَّا دعاء الثناء فهو: دعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته؛ لتحقيق ما يُحبُّه الداعي، أو دَفْع ما يكرهه، أمَّا دعاء المسألة فهو: طلب المنافع من الله تعالى، وطلب دَفْع الأضرار عن الداعي، وفي كلا النوعَينِ يُعَدُّ عبادة، ولكن لكي يستجيب الخالق لدعاء العبد؛ هناك بعض الشروط والآداب، عليه أن يتعرَّف عليها أوَّلًا، ومن ثَمَّ اتِّباعها لكي يحصل على أجر تلك العبادة العظيمة، وتلبية حاجته من الله عز وجل:

---

(١) البقرة: ١٨٦.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٤٤٨) برقم (٢١٣٩) أبواب القدر باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ١٣٩).



١- أن يبدأ بحمد الله، ويُصلِّي على النبي صلى الله عليه وسلم، ويختم بذلك: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجُلًا يُصلِّي فمجَّد الله وحمده، وصلَّى على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أيُّها المصلِّي؛ ادعُ تُجَبْ، وَسَلْ تُعْطَ". رواه النسائي[١].

٢- الدعاء في الرخاء والشدَّة: قال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة- رضي الله عنه-:" مَن سرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب؛ فلْيُكثِر الدعاء في الرخاء". رواه الترمذي[٢].

٣- يخفض صوته بالدعاء بين المخافتة والجهر: قال تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴾[٣] كذلك أن يتضرَّع إلى الله في دعائه؛ قال تعالى:﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[٤]، وأن يُلِحَّ على ربِّه في الدعاء؛ فعن أنس- رضي الله عنه- يرفعه:" ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام". رواه أحمد والترمذي[٥].

٤- الاعتراف بالذنب والنعمة حال الدعاء: كما في الحديث عن شدَّاد بن أوس- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سيد الاستغفار أن تقول:" اللهمَّ أنت ربِّي، لا إله إلَّا أنت، خلقتَني وأنا عبدُك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي؛ فإنَّه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت"، قال: ومَن قالها من النهار مُوقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يُمسي فهو من أهل الجنة، ومَن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يُصبح فهو من أهل الجنة". رواه البخاري[٦].

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٢/ ٧١) برقم (١٢٠٨) كتاب المساجد، التحميد، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة. والحديث حسن إسناده الألباني كما في أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (٣/ ٩٩٠). أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٤٦٢) برقم (٣٣٨٢) أبواب الدعوات باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٣٨٢).

(٣) الأعراف: ٥٥.

(٤) الأنعام: ٤٣.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٢٩/ ١٣٨) برقم (١٧٥٩٦). والترمذي في جامعه (٥/ ٥٤٠) برقم (٣٥٢٥) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٢٥).

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٧) برقم (٦٣٠٦) كتاب الدعوات باب أفضل الاستغفار.



٥- أن يتوسَّل إلى ربِّه تعالى بأنواع الوسائل المشروعة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ﴾[١] ومعنى ابتغاء الوسيلة كما قال العلَّامة السعدي- رحمه الله: أي القُرْب منه، والحظوة لديه، والحبُّ له، وذلك بأداء فرائضه القلبية- كالحبِّ له وفيه، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكُّل-، والبدنية- كالزكاة والحج- والمركَّبة من ذلك- كالصلاة ونحوها من أنواع القراءة والذِّكْر-، ومن أنواع الإحسان إلى الخَلْق بالمال والعلم، والجاه والبدن، والنُّصح لعباد الله، فكلُّ هذه الأعمال تُقرِّب العبد إلى الله، ويستجيب الله له الدعاء[٢].

٦- الدعاء ثلاثًا: وقد قال عليه السلام:" اللهمَّ عليك بقريشٍ؛ ثلاث مرات". رواه البخاري ومسلم[٣].

٧- أن يستقبل القبلة: فعن عبد الله بن زيد- رضي الله عنه- قال:" خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المصلَّى يستسقي، فدعا واستسقى، ثم استقبل القبلة فقلب رداءه". رواه البخاري ومسلم[٤].

٨- رفْع اليدين بالدعاء: عن سلمان- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ ربَّكم تبارك وتعالى حييٌّ كريمٌ، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يرُدَّهما صفرًا". رواه أبو داود والترمذي[٥].

٩- الوضوء قبل الدعاء إن تيسَّر: عن أبي موسى- رضي الله عنه- قال:" لما فرغ النبي- صلى الله عليه وسلم- من حُنين؛ بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دُريد بن الصمة، فقُتِلَ دُريدٌ، وهزم الله أصحابه. قال أبو موسى: بعثني مع أبي عامر، فرُمِي أبو عامر في ركبته، رماه

---

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٣٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٧) برقم (٢٤٠) كتاب الوضوء باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة، لم تفسد عليه صلاته ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤١٨) برقم (١٧٩٤) كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٥) برقم (٦٣٤٣) كتاب الدعوات باب الدعاء مستقبل القبلة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦١١) برقم (٨٩٤) كتاب صلاة الاستسقاء.

(٥) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٧٨) برقم (١٤٨٨) باب تفريع أبواب الوتر باب الدعاء. والترمذي في جامعه (٥/ ٥٥٦) برقم (٣٥٥٦) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧١) برقم (٣٨٦٥) كتاب الدعاء باب رفع اليدين في الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٣٩).



جشميٌّ بسهم فأثبته في ركبته، فانتهيتُ إليه فقلتُ: يا عمِّ؛ مَن رماكَ؟ فأشار إلى أبي موسى فقال: ذاك قاتلي الذي رماني، فقصدتُ له فلحقتُه، فلما رآني ولَّى فاتبعتُه، وجعلتُ أقول: ألا تستحي؟ ألا تثبت؟ فكفَّ، فاختلفنا ضربتين بالسيف، فقتلتُه، ثم قلتُ لأبي عامر: قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم، فنزعتُه فنزا منه الماء فقال: يا ابن أخي؛ انطلِقْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرِئْه منِّي السلام، وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفرْ لي. قال: واستعملني أبو عامر على الناس فمكث يسيرًا، ثم مات، فرجعتُ فدخلتُ على النبي صلى الله عليه وسلم في بيته على سرير مُرْمَلٍ وعليه فراش، قد أثَّر رمال السرير في ظهره وجنبه، فأخبرتُه بخبرنا وخبر أبي عامر، وقلتُ له: قال: قلْ له: استغفرْ لي، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضَّأ منه، ثم رفع يديه فقال: اللهمَّ اغفرْ لعبيد بن عامر، ورأيت بياض إبطيه، ثم قال: اللهمَّ اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك ومن الناس. فقلتُ: ولي يا رسول الله فاستغفرْ، فقال: اللهمَّ اغفرْ لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخلْه يوم القيامة مُدخلًا كريمًا". رواه البخاري ومسلم[(١)].

١٠- البكاء في الدعاء من خشية الله: فعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما-:" أن النبي- صلى الله عليه وسلم- تلا قول الله عز وجل في إبراهيم[(٢)]:وقال عيسى ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٣)]، فرفع يديه، وقال:" اللهمَّ أُمَّتي أُمَّتي. وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل؛ اذهبْ إلى محمد- وربُّك أعلم- فسلْه ما يُبكيك؟ فأتاه جبريل- عليه السلام- فسأله، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل؛ اذهبْ إلى محمد؛ فقلْ: إنَّا سنُرضيك في أُمَّتك ولا نسوؤك". رواه مسلم[(٤)].

**والخلاصة**: قول العلَّامة ابن باز- رحمه الله-: الدعاء له آدابٌ في الإسلام، آدابٌ عظيمة، وهي: الإقبال على الله، وحضور القلب في الدعاء؛ أن تُحضِر قلبك في الدعاء، وأن تستقبل القبلة، وأن ترفع يديك، تلحّ بالدعاء، وتُكرِّر الدعاء، تبدأ بحمد الله، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو، كلُّ هذا من آدابه، وإذا كنتَ على طهارة فهو أكمل[(٥)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٥٥) برقم (٤٣٢٣) كتاب المغازي باب غزوة أوطاس. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٤٣) برقم (٢٤٩٨) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضي الله عنهما.

(٢) إبراهيم: ٣٦.

(٣) المائدة: ١١٨.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٩١) برقم (٢٠٢) كتاب الإيمان باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، وبكائه شفقة عليهم.

(٥) ينظر موقع الشيخ عليه رحمة الله:

## ١٥ شعبان

## ليلة النصف من شعبان وما ورد فيها

عرف العرب الأشهُر الهجرية، وسمُّوها واعتمدوها في تقويمهم وتأريخهم، وورد في القرآن الكريم ذكرٌ لتعداد هذه الأشهُر وتصنيفها، فهي اثنا عشر شهرًا، مُقسَّمة إلى أشهُرٍ حُرُمٍ وعددها أربعة، وأشهر حلٍّ أو حلالٍ وعددها ثمانية، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١) وشهر شعبان هو الشَّهر الثامن في ترتيب أشهر السَنة الهجريَة، ويأتي بعد شهر رجبٍ وقبل شهرِ رمضان، وأما سبب تسميته فقد اختُلِف فيه على قولَين؛ فهناك من قال: إنَّ التّسمية عائدة لتشعُّب العرب في المناطق والأنحاء؛ طلبًا للماء، وهناك من أرجع سبب التسمية إلى تشعُّب العرب في المناطق للقتال بعد أن كان ممنوعًا عليهم ومحظورًا في رجب.

وإنَّ لشهر شعبان فضلًا وميزةً مُتمثّلةً بكونه الشهر السابق لأفضل شهور السنة شهرِ رمضان المبارك؛ حيث يكون شعبان شهر الاستعداد لرمضان وتهيئة النفس لاستقباله، وقد كان النَّبي- عليه الصَّلاة والسَّلام- يُكثِر من الصِيام في شعبان، ومن ذلك ما روته عنه أمُّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت:"كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول: لا يُفطِرُ، ويفطرُ حتى نقولَ: لا يصومُ، وما رأيتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم استكمل صيامَ شهرٍ قطُّ إلا رمضانَ، وما رأيتُه في شهرٍ أكثرَ منه صيامًا في شعبانَ". رواه مسلم(٢).

وورد عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّ كثيرين يغفلون عن شهر شعبان وعن فضله؛ فهو شهرٌ تُرفَع فيه الأعمال إلى الله تعالى؛ لذا أحبَّ الرسول صلى الله عليه وسلم الصيام فيه، كما روى عنه أبو هريرة- رضي الله عنه- قال:" قلتُ: يا رسولَ اللهِ؛ أراك تصومُ في شهرٍ ما لم أرَكَ تصومُ في شهرٍ مثلَ ما تصومُ فيه؟ قال: أيُّ شهرٍ؟ قلتُ: شعبانَ، قال: شعبانُ بين رجبَ ورمضانَ، يغفلُ الناسُ عنه، تُرفَعُ فيه أعمالُ العبادِ، فأُحِبُّ أن لا يرفع عملي إلَّا وأنا صائمٌ". رواه النسائي(٣).

---

(١) التوبة: ٣٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨١٠) برقم (١١٥٦) كتاب الصيام باب صيام النبي صلى الله عليه وسلم في غير رمضان، واستحباب أن لا يخلي شهرا عن صوم.

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٧٦) برقم (٢٦٧٨) كتاب الصيام، صوم النبي صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي، وذكر اختلاف الناقلين في ذلك. والحديث حسن إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٥٢٢).



وذهب بعض العلماء إلى تعظيم ليلة النصف من شعبان، والاستزادة فيها من الطاعات، والإكثار من القربات، بما فيها قيام الليل، ومنهم من ذهب إلى عدم جواز تخصيص ليلة النصف من شعبان بالقيام لذاتها؛ لعدم ثبوت ذلك بحديثٍ صحيحٍ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، مما يجعل تخصيص ليلة النصف من شعبان لذاتها بالقيام من قبيل البدعة، أمَّا إن قام المسلم ليلة النصف من شعبان بقصد العبادة بوجهٍ عامٍ دون اعتقاد فضلٍ لهذه الليلة أو تخصيصٍ لها، فذلك جائزٌ لا حرج فيه. وعن حكم صيام يوم النصف من شعبان يقول العلماء: إنْ صام المسلم يوم النصف من شهر شعبان على أنَّه من الأيام البيض الثلاثة التي يستحبُّ صومها من كلِّ شهرٍ (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كلِّ شهرٍ هجريٍّ) فإنَّ ذلك مستحب؛ لأن صيام هذه الأيام من قبيل صيام النافلة، أمَّا إفراد وتخصيص يوم النصف من شهر شعبان بالصيام؛ اعتقادًا لفضله، فلا يصحُّ ذلك؛ للروايات الواردة في النهي عن صيام نصف شعبان حتى آخره، وذلك فيما رُوي عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم:" إذا انتصف شعبان؛ فلا تصوموا حتى يكون رمضانُ". رواه أحمد وأبو داود[(١)]، وذهب العلماء الذين قالوا بصحَّة هذا الحديث إلى أنَّ النهي عن صيام نصف شعبان وما بعده لمن أراد ابتداء الصيام من النصف، أمَّا من صام قبلها فلا حرج، ويُستثنى من النهي مَن أراد صيام يوم النصف من شعبان بقصد القضاء، أو صادف منتصف شعبان يوم الإثنين أو الخميس، وكان من عادته صيامهما.

وقد وردت روايات كثيرة في فضل النصف من شعبان، إلا أن العلماء لم يُصححوها، ومن هذه الروايات ما يأتي: ما روي عن كردوس بن عمرو قال:" مَن أحيا ليلتَيِ العيدِ وليلةَ النِّصفِ من شعبانَ؛ لم يَمُت قلبُهُ يومَ تموتُ فيهِ القلوبُ" رواه ابن الجوزي في العلل المنتهية، عن كردوس، ولا يصح وفيه آفات[(٢)].

(١) ينظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ١٣٢) وأشار إلى أنه أخرجه أحمد وأصحاب السنن. وقد رواه أهل السنن مختصرًا، ينظر: مسند أحمد (١٥/ ٤٤١) برقم (٩٧٠٧). سنن أبي داود (٢/ ٣٠١) برقم (٢٣٣٧) كتاب الصوم باب في كراهية ذلك. جامع الترمذي (٣/ ١٠٦) برقم (٧٣٨) أبواب الصوم باب ما جاء في كراهية الصوم في النصف الباقي من شعبان لحال رمضان. السنن الكبرى للنسائي (٣/ ٢٥٤) برقم (٢٩٢٣) كتاب الصيام، صيام شعبان. سنن ابن ماجه (١/ ٥٢٨) برقم (١٦٥١) كتاب الصيام باب ما جاء في النهي أن يتقدم رمضان بصوم، إلا من صام صوما فوافقه.

(٢) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٢/ ٧٢). العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.



وما رُوِي عن عليٍّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- قال:" إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُومُوا لَيْلَهَا ، وَصُومُوا نَهَارَهَا ، فَإِنَّ اللهَ يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى سَمَاء الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : أَلاَ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ لِي ، فَأَغْفِرَ لَهُ ، أَلاَ مُسْتَرْزِقٌ ، فَأَرْزُقَهُ ، أَلاَ مُبْتَلًى فَأُعَافِيَهُ ، أَلاَ كَذَا ، أَلاَ كَذَا ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ". رواه ابن ماجه وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه(١).

وما رُوِي عن أبي أمامة الباهليّ- رضي الله عنه- قال:" خَمْسُ لَيَالٍ لا تُرَدُّ فيهن الدعوةُ: أولُ ليلةٍ من رجبٍ، وليلةُ النِّصفْ من شعبانَ، وليلةُ الجُمُعةِ، وليلةُ الفِطْرِ، وليلةُ النحرِ". ضعفه الألباني في ضعيف الجامع(٢).

وما رُوِي عن عائشة أمِّ المؤمنين- رضي الله عنها- قالت:" إذا كان ليلةُ النصفِ من شعبانَ؛ يغفرُ اللهُ منَ الذنوبِ أكثرَ منْ عددِ شعرِ غنمِ كَلْبٍ" رواه الترمذي وضعفه الألباني(٣).

وما رُوِي أيضًا عن عائشة- رضي الله عنها- أنّها قالت:" قام رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم من اللَيلِ يُصلِّي، فأطال السُّجودَ حتَّى ظننتُ أنَّه قد قُبِض، فلمَّا رأيتُ ذلك قُمتُ حتَّى حرَّكتُ إبهامَه فتحرَّك فرجعتُ، فلمَّا رفع إليَّ رأسَه من السُّجودِ وفرغ من صلاتِه، قال: يا عائشة- أو يا حُميراءُ- أظننتِ أنَّ النَّبيَّ قد خاس بك؟ قلتُ: لا واللهِ يا رسولَ اللهِ؛ ولكنَّني ظننتُ أنَّكَ قُبِضْتَ لطولِ سجودِك، فقال: أتدرين أيُّ ليلةٍ هذه؟ قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: هذه ليلةُ النِّصفِ من شعبانَ، إنَّ اللهَ- عزَّ وجلَّ- يطَّلِعُ على عبادِه في ليلةِ النِّصفِ من شعبانَ، فيغفِرُ للمُستغفِرين، ويرحمُ المسترحِمين، ويؤخِّرُ أهلَ الحقدِ كما هُم" ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب(٤).

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٤٤٤) برقم (١٣٨٨) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان. والحديث قال عنه الألباني: "ضعيف جدًا" كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٣/ ٣٨٨).

(٢) قال عنه الألباني: "موضوع" كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٣/ ٦٤٩). وينظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ٤٢٠). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: المجددة والمزيدة والمنقحة.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ٣/ ١٦٩، كتاب الصوم ، باب ما جاء في قيام شهر رمضان ، الحديث (٨٠٦)، ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ٩٤).

(٤) ينظر: ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٣١٥).



وما رُوي عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما-:" من قرأ ليلةَ النِّصفِ من شعبانَ ألفَ مرَّةٍ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[١] في مائةِ ركعةٍ لم يخرجْ من الدُّنيا حتَّى يبعثَ اللهُ إليه في منامِه مائةَ ملَكٍ: ثلاثون يُبشِّرون بالجنَة، وثلاثون يُؤمِّنون من النَّارِ، وثلاثون يعصِمونه من أن يُخطِئَ، وعشرةٌ يكيدون من عاداه". ذكره ابن الجوزي في الموضوعات[٢].

**الخلاصة**: إذا لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم تخصيصه هذه الليلة بعبادة، وكان عامَّة ما ورد فيها إمَّا موضوع أو ضعيف، ولم يثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم شيء في هذا؛ فلا وجه إذن لاتخاذ ليلة النصف من شعبان شعيرة للعبادة تضاهي أيام الجمعة والأعياد وصلاة التراويح، فما قارب الصحيح غاية ما فيه الحثُّ على الإقلاع عن كبيرتين من كبائر الذنوب هما: الشرك، والشحناء.

فمن كان حريصًا على بلوغ أجر هذه الليلة فعليه العمل بموجب ما ثبت من الأثر، وما جاء الحثُّ عليه، أمَّا اختراع عبادة وطاعة لم تثبت، ولم يدل عليها حديث صحيح؛ فليس إلا بُعدًا عن السُّنَّة والعمل الصالح، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ". رواه البخاري ومسلم[٣].

---

(١) الإخلاص: ١.

(٢) الموضوعات لابن الجوزي (٢/ ١٢٨). الموضوعات، المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، جـ ١، ٢: ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، جـ ٣: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٨٤) برقم (٢٦٩٧) كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٣) برقم (١٧١٨) كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور.

## ١٦ شعبان

## التفكُّر في عظيم مخلوقات الله تعالى

إن التفكُّر في مخلوقات الله عزَّ وجلَّ يكشف عن عظمة الخالق، ويجعل المرءَ يقرُّ بوحدانية الله عزَّ وجلَّ، ويتواضع لعظمته، ويحاسب نفسَه على أخطائها؛ فيزداد إيمانًا وصفاء، ويورث الحكمة، ويحيي القلوب، ويورث فيها الخوف والخشية من الله عزَّ وجلَّ، فما طالت فكرة امرئ إلا علم، وما علم امرؤ قطُّ إلا عمل، ولو تفكَّر الناس في عظمة الله عزَّ وجلَّ ما عصوه.

والتفكُّر الشرعي هو إعمال العقل في أسرار ومعاني الآيات الشرعية والكونية عن طريق التأمُّل، والتدبُّر، وملاحظة وَجْه الكمال والجمال، ومشاهدة الدقة، وحسن التنظيم، والسنن الكونية، والتماس الحكمة، والعبرة من وراء ذلك.

قال العلَّامة ابن عثيمين- رحمَه الله-: التَّفكُّرُ: هو أن الإنسان يُعمِل فكره في الأمر، حتى يصل فيه إلى نتيجة، وقد أمر الله تعالى به- أي: بالتَّفكُّرِ وحثَّ عليه في كتابه-؛ لما يتوصَّل إليه الإنسان به من المطالب العالية والإيمان واليقين(١) ، ولقد دعا الله تعالى الكافرين في القرآن الكريم للتفكُّر فيما حولهم من أسرار الكون لعلهم يتَّعظون ويعودون عن الشرك بالله، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾(٢)

ويُعتبَر التفكُّر في خلق الكون هو أحد العبادات التي قد شرعها الله عز وجل لكي يقوم الإنسان بها؛ فالله قد خلق العباد لكي يقوموا بعبادته من خلال الصلاة التي قد فرضها على العباد، ولكن هناك عبادات أخرى أيضًا، فليست جميع العبادات تكون قلبية ظاهرية؛ بل هناك عبادات باطنة تكون داخل الإنسان، وتلك العبادات الباطنة قد تتمثَّل في التفكُّر في خلق الكون والتأمُّل في مخلوقات الله التي قد وهبها في هذا الكون لنرى عظمة وقدرة الخالق في الأشياء التي قد وهبها في هذا الكون. وتلك العبادة قد تكمن في النفس، وهذه العبادة قد لا يعرفها البعض، ولكنها لا تقلُّ أهمية عن العبادات الأخرى التي قد سخَّرها الله لنا في الكون؛ بل إن الله سبحانه وتعالى قد تحدَّث عن هذه العبادة في كتابه العزيز فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى

---

(١) شرح رياض الصالحين (١/ ٥٧٦). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ.

(٢) لأعراف: ١٨٥.



خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[١] وهنا يتحدَّث الله من خلال هذه الآية الكريمة عن الأشخاص الذين يتأمَّلون ويتفكَّرون في خلق هذه السماوات والأرض وما عليها، وكم أن الله عز وجل لم يخلق أي شيء من هذه الأشياء بدون هدف أو غاية، ويتأمَّلون من الله ويطلبون ويدعون أن يرحمهم وينجيهم من النار، وبالرغم من أن تلك العبادة تكون كامنة وداخلية في النفس؛ إلا أنها تُعتبَر من أقوى العبادات حيث إنه قد يتمُّ التحدُّث فيها مع الله، والتفكير فيما قدَّمه في هذا الكون، دون أن يُحرِّك أيًّا من جوارحه أو أعضائه.

ويمكن للإنسان أن يتأمَّل في كثيرٍ من المجالات ليحصل على منافع عبادة التأمُّل منها: التأمُّل بالكون وما فيه من إبداعٍ وإتقانٍ وجمالٍ؛ كالتأمُّل في خلق الجبال والأشجار والطبيعة بما فيها من مناظر خلَّابة، والتفكُّر بجريان الأنهار وتقلُّب الليل والنهار وما يصاحب ذلك من تغيُّر في أحوال الأرض، حيث يعلم الإنسان بذلك كيف أنَّ كل ما في الكون يسير وفق نظام دقيق لا يتبدَّل ولا يتخلَّف، وأيضًا التأمُّل في آيات القرآن وما فيها من دقة في التشريع، وفصاحة في اللغة، وأسلوب عظيم في إيصال قضايا التوحيد والأخلاق وغيرها. كذلك التأمُّل في خلْق الله تعالى للإنسان، وما فيه من آيات، حيث إن الله تعالى خلَقَ الإنسان في أحسن صورةٍ، فتكاملت أعضاؤه وانسجمت بحيث تؤدِّي كلٌّ منها وظيفتها بدرجةٍ عاليةٍ من الدقة والإتقان، والتأمُّل في طبائع البشر كيف أنَّ الله عز وجل جبلهم على أمورٍ عديدةٍ؛ منها: حب المال والشهرة والرئاسة وحب الخلود والحرص على التملُّك وعمارة الأرض، والتأمُّل في الكائنات الحية بأشكالها وأنواعها وأساليب حياتها حيث إن الله تعالى هيَّأ لها الأحوال والظروف المناسبة لتعيش حياتها الخاصة، والتفكُّر في الدنيا وسرعة فنائها، وما فيها من أكدار وصعوبات ومشاق وابتلاءات، فمن افتُتن بها وجرى خلفها لم يجد فيها إلَّا الخسران والمهانة، والتفكُّر فيما أخبر الله تعالى من قصص الأمم السابقة، كيف أنهم اغترُّوا بأنفسهم واستكبروا عن عبادة الله عز وجل، فأهلكهم الله وأبادهم، ولم يُبقِ منهم إلَّا آثارهم حتَّى يعتبر الناس بها.

أمَّا عن حال السلف الصالح مع عبادة التأمُّل؛ فلقد ضرب السلف الصالح أمثلةً كثيرةً في الحرص على عبادة التأمُّل والتفكُّر في خلق الله عز وجل، ووردت عنهم عدَّة أقوال تدل على أهميتها لديهم، منها: قول أبي سليمان الداراني- رحمه الله-:" إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلَّا رأيتُ لله عليَّ فيه نعمة، ولي فيه عبرة"[٢].

---

(١) آل عمران: ١٩١.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٤).



وكان ابن عباس- رضي الله عنهما- يقول:" إنَّ تأمُّل ساعة في خلق الله عزَّ وجلَّ وسُنَنِه في الكون والشرع خيرٌ من قيام ليلةٍ كاملةٍ"[١].

وكان بِشر الحافي يقول:" إنَّ الناس لو تفكَّروا وتأمَّلوا في عظمة الله عز وجل لم يعصوه"[٢].

وكان عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- يرى أنَّ التفكُّر والتأمُّل في نِعم الله على العبد من أفضل أنواع العبادات[٣]. بكى ذات مرةً فرآه أصحابه وسألوه عن سبب بكائه، فقال:" فكَّرت في الدنيا ولذَّاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تُكدِّرَها مرارتُها، ولئن لم يكن فيها عبرةٌ لمن اعتبر؛ إنَّ فيها مواعظ لمن ادَّكر"[٤].

ولهذا ندب الله تعالى في آياتٍ كثيرة إلى التفكُّر والنظر في مخلوقاته، فالله تعالى قد نوَّع للعباد الآيات التي تدلُّ عليه، فمنها آيات متلوة مقروءة مسموعة وهو كلامه جل في علاه، ومنها آيات منظورة مشاهدة مبصرة وهي ما بثَّه سبحانه وبحمده في الآفاق وفي النفس من آياته الدالَّة على عظمته، قال الله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[٥]. وقال سبحانه:﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[٦] وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾[٧] والآيات في هذا كثيرة التي تدعو الإنسان إلى التفكُّر في كل ما يشاهده من آيات الله، حتى الأعمى ينظر في خلقه وما تدركه بقية حواسه مما يدلُّ على عظمة الله عزَّ وجلَّ، لكن القلوب إذا غفلت عميت فلم تبصر؛ كما قال تعالى:﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي

---

(١) رواه بمعناه: أبو الشيخ الأصبهاني في كتابه العظمة (١/ ٢٩٨). العظمة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٤٢٥). إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٤٢٥).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٥).

(٥) الذاريات: ٢١.

(٦) فصلت: ٥٣.

(٧) الغاشية: ١٧ – ١٩.



ٱلصُّدُورِ﴾[١]، وإذا انفتحت عين القلب ورأى ما يشاهده من آيات الله كان وقَّافًا عند هذه الآيات مُعتبِرًا بخلاف ذاك الغافل، قال تعالى:﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[٢].

لله في الآفاق آياتٌ لعل أقلَّها ما هو إليه هَداكا
وإذا ترى الجبل الأشمَّ مُناطِحًا قممَ السحابِ فسلْه مَن أرساكا
وإذا ترى صخرًا تفجَّر بالمياه فسلْه مَن بالماء شقَّ صفاكا[٣]

(١) الحج: ٤٦.

(٢) يوسف: ١٠٥.

(٣) ينظر: موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (١/ ٢٢١). موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق ، (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين)، المؤلف: ياسر عبد الرحمن، الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.



## ١٧ شعبان

## هلك المتنطِّعون (الاقتصاد في العبادة)

إن الإيمان والتقوى والصلاح والاستقامة؛ تُوجب علينا أن نوازن بين ديننا ودنيانا، وأن نتعبَّد الله تعالى بمراعاة سُننه الكونية، وأن لا نهمل ديننا على حساب دنيانا، ونتبع المادِّيين، ولا نغلو في ممارسة العبادات، فنكون كالزاهدين، فالزهد في الدنيا ليس بالابتعاد عنها، إنما بالابتعاد عن ملذاتها الدنيئة، وشهواتها الوضيعة، وماعدا ذلك كله مباح للإنسان في إطار التوازن الشرعي بين الدين والدنيا، والجسد والروح، وهذا ما نجده في سلوك نبيِّ الأمَّة، ومُعلِّم البشرية، وهادي الناس أجمعين، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مُضيِّع له، فالغالي فيه مُضيِّع له؛ هذا بتقصيره عن الحدِّ، وهذا بتجاوزه الحدَّ، ولقد دعا الإسلام إلى التوسُّط والاعتدالِ في كل أُمور الدينِ والدنيا، فأرشد النبيُّ صلى الله عليه وسلم أُمَّته إلى ما ينفعهم مِن الأعمال، وعلَّمنا كيف تُؤدَّى هذه الأعمال دون إفراط أو تفريط.

والتنطَّع هو التكلُّف والمغالاة في القول والفعل، والمتنطِّعون هم الخائضون في ما لا يعنيهم، وقيل: هم المبالغون في عبادتهم بحيث يخرجون عن قوانين الشريعة قولًا أو فعلًا، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم:" هلك المتنطِّعون، قالها ثلاثًا". رواه مسلم(١) ، والمعنى أنهم هلكوا في الدين كما هلكت الرهبانية ونحوهم، ودافع التنطُّع حبُّ التديُّن، ولكن عن غير بصيرة وهدى من الله تعالى، وهو في الحقيقة تزيُّد على الإسلام الذي جاء سمحًا سهلًا، مُنسجِمًا مع الفطرة الإنسانية التي فطر الناس عليها، فهؤلاء أهلكوا أنفسهم فيما لا ينفعهم؛ لأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا لوجهه، وعلى وفق ما شرعه، كما يشير لذلك قوله سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٢)، والصالح هو الذي يكون على وفق السُّنَّة، والمرضِي هو الخالص لله تعالى، وكما دلَّ صراحة على ذلك قوله- عليه الصلاة والسلام:" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٥) برقم (٢٦٧٠) كتاب العلم باب هلك المتنطعون.

(٢) الأحقاف: ١٥.



فيه؛ فهو ردٌّ". رواه البخاري ومسلم[١]، أي هو مردود عليه، ومعنى ليس عليه أمرنا؛ أي شرعنا الذي جئنا به، فإنه شرع وافٍ كافٍ، لا يحتاج إلى مزايدة، كما لا يقبل النقص.

وقد ظهرت صور من هذا التنطُّع في عهده- عليه الصلاة والسلام-، كان الحامل عليه الرغبة في العبادة وإرادة الخير،" فقد جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي- صلى الله عليه وسلم، فلما أُخبِروا، كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟! قد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، فقال أحدهم: أمَّا أنا فإني أصلِّي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوَّج أبدًا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنّي أصوم وأفطر، وأصلِّي وأرقد، وأتزوَّج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني". رواه البخاري ومسلم[٢]، فهو صلى الله عليه وسلم أتقى خلق الله لله، فلا يمكن أن يزيد عليه أحدٌ في التعبُّد.

وقد كانت عبادته بحسب الطاقة والوسع، فلم تمنعه ممَّا يحتاجه الجسد من الراحة والمتعة؛ لأن ذلك هو مراد الله تعالى من عباده، كما قال سبحانه: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[٣]، ولو أراد منَّا غير ذلك لخلقنا كالملائكة الكرام الذين لم يُخلَقوا إلَّا للعبادة، فلا غرائز لهم، فلذلك هم لا يفترون من عبادة الله تعالى، بخلاف البشر المخلوقين بغرائز، ومُكلَّفين بعمارة الأرض كما كُلِّفوا بعمارة الدين، وهكذا وجَّه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنه- الذي كان قد رغب في زيادة التعبُّد والتزهُّد، فكان يصوم الدهر ويقوم الليل كلَّه، فقال له صلى الله عليه وسلم:" إنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين، ونفهت له النفس- أي أعيت وكلَّت، لا صام من صام الدهر"[٤]، ولما جادل النبيَّ صلى الله عليه وسلم في زيادة التعبُّد؛ قال

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٨٤) برقم (٢٦٩٧) كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٣) برقم (١٧١٨) كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٢) برقم (٥٠٦٣) كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٢٠) برقم (١٤٠١) كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم.

(٣) القصص: ٧٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٠) برقم (١٩٧٩) كتاب الصوم باب صوم داود عليه السلام. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨١٥) برقم (١١٥٩) كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم.



له:" فإنَّ لزوجك عليك حقًّا، ولزورك- أي ضيفك- عليك حقًّا، ولجسدك عليك حقًّا"، قال: فشدَّدتُ، فشُدِّد عليَّ، وفي رواية قال لي النبي صلى الله عليه وسلم:" إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر"، قال:" فصرتُ إلى الذي قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما كبرتُ وددتُ أني كنتُ قبلتُ رخصة نبي الله صلى الله عليه وسلم". رواه البخاري ومسلم(١).

قال الشيخ ابن باز- رحمه الله-: فالواجب على أهل الإيمان التأسِّي بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم، والحذر من الغلو والتكلُّف وما يُؤدِّي إلى المشقة التي نهى الله عنها(٢).

ومن التنطُّع: الامتناع من المباح مطلقًا كالذي يمتنع من أكل اللحم والخبز، ومن لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلا الصوف، ويمتنع من نكاح النساء، ويظن أن هذا من الزهد المستحَبِّ.

قال الشيخ تقي الدين: فهذا جاهل ضالٌّ(٣). يعني: أن الإنسان إذا بالغ في مجانبة الأمور التي قد يُخيَّل إليه أنَّ تركها أحبُّ إلى الله، وهو في ذلك ليس على دليل؛ لأن الإنسان في كل ما يتعبَّد به يجب أن يكون على دليل، ولا يجوز أن يعمل برأيه أو بقياسه أو بالنظر إلى ما الناس عليه؛ لأن العبد مُقيَّدٌ في عبادة الله جلَّ وعلا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، سواء قدر على فعل ذلك أو لم يقدر؛ لأنه ليس كل إنسان يستطيع أن يأتي بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم:" ما أمرتُكم به فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتُكم عنه فاجتنبوه". رواه البخاري ومسلم(٤)، فقيَّد الفعل بالمستطاع، أمَّا الترك فيجب أن يجتنب جميعًا، ولا يقول: ما استطعتُ أن أترك هذا، فكل منهي عنه يستطيع أن يجتنبه، فالإنسان إذا لم يكن مُتقيِّدًا بالشرع فهو على خطر عظيم، ولا بدَّ أن يقع في التقصير أو يقع في التفريط، إمَّا أن يقع في البدع أو يقع في المعاصي، ولا يخلو من ذلك إذا لم يكن مُتقيِّدًا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

إن رغبة النفس في التنطُّع لا تعني التديُّن بحال، بل تعني هوى النفس، وذلك لا يُرضِي نبيَّنا صلى الله عليه وسلم، فعلى المسلم الحريص على دينه أن لا يُزايد عليه، بل يحافظ على الفرائض كمحافظته

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٩) برقم (١٩٧٥) كتاب الصوم باب حق الجسم في الصوم. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨١٣) برقم (١١٥٩) كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم.

(٢) من شرح الشيخ رحمه الله لكتاب رياض الصالحين. ينظر موقع الشيخ رحمه الله:

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٣٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٩٤) برقم (٧٢٨٨) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٧٥) برقم (١٣٣٧) كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر.

على نفسه، ويحافظ على السُّنن ما استطاع بحيث لا يرهق نفسه فيُؤدِّيه إلى الانقطاع والملل، أو العجز عن المواصلة، فذلكم هو بالغ التديُّن المطلوب الذي أرشد إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن أحبِّ الأعمال إلى الله؛ فقال:" أدومُها وإن قلَّ". رواه البخاري ومسلم[١]، وقال:" اكلفوا من الأعمال ما تطيقون". رواه البخاري ومسلم[٢]، وصدق ابن العماد إذ يقول :

وما التنطُّع إلَّا نزغةٌ وردتْ ... من مكرِ إبليسَ فاحذرْ سوءَ فتنتِهِ
إن تستمعْ قوله فيما يوسوسُه ... أو نصح رأيٍ له ترجعْ بخيبتِهِ
القصدُ خيرٌ، وخيرُ الأمرِ أوسطُه ... دعِ التعمُّقَ واحذرْ داءَ نكبتِهِ[٣]

**والخلاصة** أنَّ الإسلام قد حثَّ في كثير من الآيات والأحاديث على التيسير وعدم التشديد في أمور الدين والدنيا، قال سبحانه:﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[٤] ، وقال- صلى الله عليه وسلم-:" إنَّ الدين يُسرٌ، ولن يُشادَّ الدين أحدٌ إلَّا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة".رواه البخاري[٥]،ولهذا فالمسلم يلتزم في دائرة الوسطية والاعتدال، ولا يتَّخذ ذلك ذريعة لتمييع أحكام الدين بحجَّة الوسطيَّة، إنَّما المقصود تبنِّي المنهج الوسط العدل من غير إفراط ولا تفريط.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٨) برقم (٦٤٦٥) كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٤١) برقم (٧٨٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٨) برقم (٦٤٦٥) كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٧٤) برقم (١١٠٣) كتاب الصيام باب النهي عن الوصال في الصوم.

(٣) ينظر: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (١/ ١٥٤). إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين)، المؤلف: أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي (المتوفى: بعد ١٣٠٢هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

(٤) البقرة: ١٨٥.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٩) كتاب الإيمان باب الدين يسر.

## ١٨ شعبان

## الدين النصيحة

قال الإمام الخطابي: النصِيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له[(١)]، وقال الجرجاني: النصح إخلاص العمل عن شوائب الفساد، والنصيحة: هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد[(٢)].

والفرق بين النصيحة والتعيير: أنَّ النصيحة والتعيير يشتركان في أن كلًّا منهما ذكْر للإنسان بما يكره ذكْره، ويفترقان في أنَّ النصيحة فيها مصلحة لعامة المسلمين أو لخاصتهم أو مصلحة المنصوح نفسه، أمَّا التعيير فالمقصود منه مجرد الذم والعيب، وإظهار السوء وإشاعته- وإن ظهر في قالب النصح-. ولقد رغَّب القرآن الكريم في النصيحة، قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام:﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [(٣)] قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في تفسيره: أي: وظيفتي تبليغكم، ببيان توحيده وأوامره ونواهيه، على وجه النَّصِيحَة لكم والشفقة عليكم[(٤)]، وقال سبحانه حكاية عن هود عليه السلام:﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[(٥)] ، أي: ناصح لكم فيما أدعوكم إليه، أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه، وقوله أيضًا حكاية عن صالح عليه السلام:﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[(٦)]، وكذلك قوله حكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ

---

(١) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (١/ ١٨٩). أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(٢) التعريفات (ص: ٢٤١). كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٣) الأعراف: ٦١ – ٦٢.

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٩٣).

(٥) الأعراف: ٦٧ – ٦٨.

(٦) الأعراف: ٧٩.



كَٰفِرِينَ﴾ (١)، فهذه النصوص القرآنية تفيد أنَّ النصيحة من أبلغ ما يُوجِّهها الأنبياء عليهم السلام إلى قومهم، وأنها تُؤدِّي ثمارها في حالة السلب والإيجاب بالنسبة للناصح، فإنْ قبلها القوم؛ عاد نفعُها عليه وعليهم في الدنيا والآخرة، وإن رفضوها فالنتيجة الحتمية هي العذاب لهم، والأجر للناصح. إذًا فكل ناصح مأجورٌ على نصيحته مهما كانت النتائج، وذلك إذا خلصت نيَّته، وعمل بتوجيهات الربِّ سبحانه وتعالى.

وعن تميم الداري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الدين النَّصِيحَة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم". رواه مسلم(٢).

قال الإمام الخطابي: فمعنى النَّصِيحَة لله سبحانه صحَّة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، والنَّصِيحَة لكتاب الله الإيمان به والعمل بما فيه، والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته، وبذْلُ الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه، والنصيحة لأئمة المؤمنين أن يطيعهم في الحقِّ، وأن لا يرى الخروج عليهم بالسيف إذا جاروا، والنصيحة لعامَّة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم(٣).

قال النووي: هذا حديثٌ عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام.

وأمَّا ما قاله جماعات من العلماء أنه أحد أرباع الإسلام أي: أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده(٤)، وعن جرير بن عبد الله- رضي الله عنه- قال:" بايعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكلِّ مسلم". رواه البخاري ومسلم(٥).

قال الخطابي: جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم النصيحة للمسلمين شرطًا في الذي يبايع عليه كالصلاة، والزكاة، فلذلك تراه قرنها بهما(٦)، وتعود أهمية النصيحة في ديننا الإسلامي؛ كما قال ابن

(١) الأعراف: ٩٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٧٤) برقم (٥٥) كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة.

(٣) معالم السنن (٤/ ١٢٦). معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة العلمية – حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م.

(٤) شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٧).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢١) برقم (٥٧) كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم". ومسلم في صحيحه (١/ ٧٤) برقم (٥٥) كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة.

(٦) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (١/ ١٨٧).

بطال: إنَّ النصيحة تُسمَّى دينًا وإسلامًا، وإنَّ الدين يقع على العمل كما يقع على القول، قال: والنصيحة فرض يُجزئ فيه من قام به، ويسقط عن الباقين، قال: والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يُقبَل نصحه، ويُطاع أمره، وأمن على نفسه المكروه، فإن خشي على نفسه أذًى فهو في سَعة، والله أعلم(١).

وللنصيحة فضائل عديدة؛ منها: أنها من علامات كمال الإيمان؛ كما قال صلى الله عليه وسلم:" لا يؤمن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه" رواه البخاري ومسلم، وأنها من حقوق المسلم على أخيه المسلم قال- صلى الله عليه وسلم-:" للمؤمن على المؤمن ستُّ خصال: وينصح له إذا غاب أو شهد". أخرجه الترمذي والنسائي(٢).

والنصيحة تكون لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامَّتهم. قال الحسن البصري: ما زال لله ناسٌ ينصحون لله في عباده، وينصحون لعباد الله في حقِّ الله عليهم، ويعملون له في الأرض بالنصيحة، أولئك خلفاء الله في الأرض(٣)، والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم: تكون بتصديق رسالته، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حيًّا وميتًا، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقِّه وتوقيره، وإحياء طريقته وسُنَّته، وبثِّ دعوته، ونشْر شريعته.

وقال الآجري: والنصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهين: فنصيحة مَن صاحَبَه وشاهَدَه، ونصيحة من لم يرَه؛ فأمَّا صحابتُه فإنَّ الله شرَطَ عليهم أن يُعزِّروه ويُوقِّروه وينصروه، ويُعادوا فيه القريب والبعيد، وأن يسمعوا له ويُطيعوا، وينصحوا كل مسلم، فوفَّوا بذلك، وأثنى الله عليهم به، وأمَّا نصيحة من لم يرَه فأن يحفظوا سُنَّته على أُمَّته، وينقلوها، ويُعلِّموا الناس شريعته ودينه، ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر، فإذا فعلوا ذلك، فهم ورَثة الأنبياء(٤).

---

(١) ينظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال (١/ ١٢٩). شرح صحيح البخارى لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢) برقم (١٣) كتاب الإيمان باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٧) برقم (٤٥) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٨٠) برقم (٢٧٣٧) أبواب الأدب باب ما جاء في تشميت العاطس. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٤٢٧) برقم (٢٠٧٦) كتاب الجنائز، النهي عن سب الأموات. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٢٣٧).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ١٣٠).



والنصيحة لأئمة المسلمين: تكون بمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه، وترْك الخروج عليهم، وتألُّف قلوب الناس لطاعتهم، وأن يُدعَى لهم بالصلاح.

وللنّصيحة آدابٌ ينبغي على الناصح مراعاتها أثناء نصحه: منها الإخلاص لله تعالى، فعلى الناصح أن لا يكون متعاليًا في نصيحته، أو أن يكون مُظهِرًا للتفضُّل عليه بالنصح، وعليه أن يعلم أنَّ نصيحته منَّة من الله تعالى أجراها على لسانه.

كما يجب عليه التأكُّد من صحة النصيحة من الناحية الشرعية، فالنصيحة أمانة، وعلى الناصح أن لا يغشَّ المنصوح فيها، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" كَفَى بالمَرْءِ كَذِبًا أنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ". رواه مسلم[١].

واختيار الوقت المناسب للنصيحة، فليس كل وقت مناسبًا للنصيحة، والناصح الفطن من ينتبه لهذه المسألة.

كذلك إظهار المحبَّة للمنصوح قبل نصحه، فإنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كان إذا نصح أحدًا من أصحابه أظهر له الودَّ والمحبَّة، وهذا حتى تكون النّصيحة أكثر قبولًا.

أيضًا أن تكون النصيحة بالسرِّ؛ حتَّى تكون أدعى للاستجابة وأكثر قبولًا، فإنَّ النصيحة أمام الناس فضيحة. قال الشافعي- رحمه الله-:" من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه[٢]". ولله در القائل:

تعمَّدْني بنصحك في انفرادي وجنِّبْني النصيحــة في الجمــاعَةْ
فإنَّ النصـــح بين الناسِ نوعٌ من التوبيخِ لا أرضى استماعَهْ[٣]

وعمل الناصح بما ينصح، فقد ذمَّ الله سبحانه مَن يأمرون بالفعل وهم ممتنعون عنه؛ كذلك تقدير ظروف المنصوح والتماس العذر له، فمن الأدب ألَّا يُضيِّق الناصح على المنصوح وألَّا يحرجَه.

**وأخيرًا** الدعاء للمنصوح قبل النصيحة وبعدها بأن يشرح الله صدره ويُوفِّقه لما فيه الخير.

وأختم الكلام بأنَّ النصيحة ركنٌ من أركان الدين، ودلَّ على هذا قوله صلى الله عليه وسلم:" الدين النصيحة". رواه مسلم[٤]، فجعل النصيحة قوام الدين وعماده.

---

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ٦٧) باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(٢) ينظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٢٨٧). الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب.

(٣) ديوان الشافعي (ص: ٧٤). ينظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (١٠/ ٣٤٠). مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، المؤلف: أحمد قبش بن محمد نجيب.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٧٤) برقم (٥٥) كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة.

## ١٩ شعبان

## أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك

إنَّ الأمانة هي من أجمل الأخلاق التي يجب أن يتحلَّى بها كل إنسان، ولقد حثَّنا الدين الحنيف على الأمانة، وإنَّ الأمانة لمن مكارم الاخلاق، وهي: التَّعفُّف عمَّا يتصرَّف الإنسان فيه مِن مال وغيره، وما يُوثَق به عليه مِن الأعراض والحُرُم مع القدرة عليه، وردُّ ما يُستودَع إلى مودعه.

وقد وردت الأمانة في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث نظرًا لأهمية صفة الأمانة. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾(١) قال ابن تيمية- رحمه الله-: قال العلماء: نزلت في ولاة الأمور: عليهم أن يُؤدُّوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين النَّاس أن يحكموا بالعدل، وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل، فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة(٢).وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾(٣). قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: في هذه الآية عظَّم تعالى شأن الأمانَة، التي ائتمن الله عليها المكلَّفين، التي هي امتثال الأوامر، واجتناب المحارم، في حال السِّرِّ والخفية، كحال العلانية، وأنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة؛ السماوات والأرض والجبال، عَرْض تخيير لا تحتيم، وأنكِ إن قمتِ بها وأديَّتِها على وجهها؛ فلكِ الثَّواب، وإن لم تقومي بها، ولم تُؤدِّيها فعليك العقاب. فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا أي: خوفًا أن لا يُقمنَ بما حُمِّلْنَ، لا عصيانًا لربِّهنَّ، ولا زهدًا في ثوابه، وعَرَضَها الله على الإنسان، على ذلك الشَّرط المذكور، فقَبِلها، وحملها مع ظلمه وجهله، وحمل هذا الحمل الثقيل(٤).

ولقد حثَّنا الدين الحنيف على حفظ الأمانة، لما لها من أهمِّيَّة للفرد والجماعة، وقد ظهر ذلك جليًّا في عدد من الأحاديث الشريفة؛ فعن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:" آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان". رواه

---

(١) النساء: ٥٨.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٤٥- ٢٤٦).

(٣) الأحزاب: ٧٢.

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٧٣).



البخاري ومسلم[١]. قال العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله-: يعني إذا ائتمنه النَّاس على أموالهم أو على أسرارهم أو على أولادهم أو على أي شيء مِن هذه الأشياء؛ فإنَّه يخون- والعياذ بالله-، فهذه مِن علامات النِّفاق[٢]وتُعتبَر الأمانة من صفات الأنبياء والرسل، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُسمَّى الصادق الأمين؛ لذا علينا الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، وعن ابن عباس- رضي الله عنه- أيضًا قال:" بينما النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في مجلس يُحدِّث القوم، جاء أعرابي فقال: متى السَّاعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحدِّث. فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: أين أُراه السَّائل عن السَّاعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله. قال: فإذا ضُيِّعتِ الأمَانَة فانتظرِ السَّاعة. قال: كيفَ إضاعتُها؟ قال: إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظرِ السَّاعة". رواه البخاري[٣]. والأمانة تبدأ من الشخص نفسه؛ وهي أن يقيم الفرد شعائر الدين بشكل صحيح، وكذلك حفظ الدين، قال الشَّافعي: آلات الرِّياسة خمس: صِدق اللهجة، وكتمان السِّرِّ، والوفاء بالعهد، وابتداء النصيحة، وأداء الأمانة[٤]، ويرجع أصل الأمانة إلى أمرين: الأول أمانة في حقوق الله: وهى أمانة العبد في عبادات الله عزَّ وجلَّ، والثاني: أمانة في حقوق البشر، وفيما يلي تفصيل بعض ما يدخل تحتهما من صور:

فمن الأمانة ما ائتمنه الله على عباده مِن العبادات التي كلَّفهم بها، فإنها أمانة ائتمن الله عليها العباد، ومن الأمانة: العفَّة عمَّا ليس للإنسان به حقٌّ مِن المال، وتأدية ما عليه مِن حقٍّ لذويه، وتأدية ما تحت يده منه لأصحاب الحقِّ فيه، وتدخل في البيوع والديون والمواريث والودائع والرهون والعواري والوصايا وأنواع الولايات الكبرى والصُّغرى وغير ذلك.

ومن الأمانة في الأعراض: العفَّة عمَّا ليس للإنسان فيه حقٌّ منها، وكفُّ النفس واللسان عن نيل شيء منها بسوء، كالقذف والغيبة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٣) كتاب الإيمان باب: علامة المنافق. ومسلم في صحيحه (١/ ٧٨) برقم (٥٩) كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق.

(٢) شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢١) برقم (٥٩) كتاب العلم باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه، فأتم الحديث ثم أجاب السائل.

(٤) ينظر: شرح مسند الشافعي (١/ ١٩). شرحُ مُسْنَد الشَّافِعِيّ، المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: ٦٢٣هـ)، المحقق: أبو بكر وائل محمَّد بكر زهران، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

ومِن الأمَانَة في الولاية: تأدية الحقوق إلى أهلها، وإسناد الأعمال إلى مُستحقِّيها الأكفاء لها، وحفظ أموال النَّاس وأجسامهم وأرواحهم وعقولهم، وصيانتها ممَّا يؤذيها أو يضرُّ بها، وحفظ الدِّين الذي ارتضاه الله لعباده مِن أن يناله أحدٌ بسوء، وحفظ أسرار الدَّولة وكلِّ ما ينبغي كتمانه مِن أن يُسرَّب إلى الأعداء، إلى غير ذلك مِن أمور.

قال العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله-: ومِن الأمَانَة- أيضًا- أمانة الولاية، وهي أعظمها مسؤوليَّة، الولاية العامَّة والولايات الخاصَّة، فالسُّلطان- مثلًا الرَّئيس الأعلى في الدَّولة- أمينٌ على الأمَّة كلِّها، على مصالحها الدِّينيَّة، ومصالحها الدنيويَّة، على أموالها التي تكون في بيت المال، لا يُبذِّرها ولا ينفقها في غير مصلحة المسلمين وما أشبه ذلك، وهناك أمانات أخرى دونها، كأمانة الوزير- مثلًا- في وزارته، وأمانة الأمير في منطقته، وأمانة القاضي في عمله، وأمانة الإنسان في أهله(١)، وتكون الأمانة في الشَّهادة بتحمُّلها بحسب ما هي عليه في الواقع، وبأدائها دون تحريف أو تغيير أو زيادة أو نقصان، وتكون الأمَانَة في القضاء بإصدار الأحكام وفْقَ أحكام العدل التي استُؤْمِن القاضي عليها، وفُوِّض الأمر فيها إليه(٢)، وتكون الأمانة فيها بكفِّها عن العدوان على أصحاب الحقوق، وبحفظها عن معصية الله فيها، وبتوجيهها للقيام بما يجب فيها مِن أعمال، فاستراق السمع خيانة، واستراق النَّظر إلى ما لا يحلُّ النظر إليه خيانة(٣)، واستراق اللَّمس المحرَّم خيانة.

ومِن صور الأمَانَة أن تنصح مَن استشارك، وأن تَصْدُق مَن وَثَقَ برأيك، فإذا عرض عليك أحدٌ مِن الناس موضوعًا مُعيَّنًا، وطلَبَ منك الرَّأي والمشورة والنَّصيحة؛ فاعلم أن إبداء رأيك له أمانة، فإذا أشرتَ عليه بغير الرَّأي الصحيح؛ فذلك خيانة، وقد قال الرَّسول صلى الله عليه وسلم:" المستشار مُؤتَمَن". رواه أحمد وأبو داود(٤)(٥).

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٦٣)

(٢) ينظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية (١/ ٨٩). موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنتdorar.net .

(٣) الحديث الموضوعي (ص ٢٨٤). الحديث الموضوعي، كود المادةGHDT :٥١٣٣، المرحلة: ماجستير، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٤٣) برقم (٢٢٣٦٠). وأبو داود في سننه (٤/ ٣٣٣) برقم (٥١٢٨) كتاب الأدب باب في المشورة. والترمذي في جامعه (٥/ ١٢٥) برقم (٢٨٢٢) أبواب الأدب باب أن المستشار مؤتمن. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٣٣) برقم (٣٧٤٥) كتاب الأدب باب المستشار مؤتمن. والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢١٢) برقم (٦٥٨٣) كتاب الوليمة، استقبال من قد دعي. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١١/ ١٢٨).

(٥) ينظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية (١/ ٩٠).



ومن فوائد الأمانة: كمال الإيمان وحسن الإسلام، فهي محور الدِّين، وامتحان رب العالمين، وبالأمانة يُحفَظ الدين والأعراض، والأموال، والأجسام والأرواح، والمعارف والعلوم، والولاية والوصاية، والشَّهادة، والقضاء والكتابة، كذلك الأمين يُحبُّه الله ويُحبُّه النَّاس.

قال صالح بن عبد القدوس:

أدِّ الأمَانَـة والخيانــة فاجْتَنِـبْ      واعْـدِلْ ولا تظلـمْ يَطِـبْ لـك مكسـبُ
وإذا بُلِيْتَ بنكبَةٍ فاصـــبرْ لها      مَن ذا رأيتَ مســـلَّمًا لا يُنكَـبُ[١]

**ختامًا**: فإن الأمانة من الأمور العظيمة والهامة جدًّا، والتي يجب أن يتحلَّى بها الأفراد؛ قال- صلى الله عليه وسلم-:" أدِّ الأمانةَ إلى مَن ائتمنَك ، ولا تَخُنْ من خانَك". رواه أحمد وأبو داود والترمذي[٢]؛ فهي حفْظ ما حرَّم الله في السِّرِّ والعلن، وكذلك تجعل هناك ثقة بين أفراد المجتمع وتُقوِّي المحبَّة بين الناس، وعلينا أن نعلم أن الأمانة ليست في حفظ الأموال فقط، ولكن في حفظ الجوارح، وحفظ اللسان عن أعراض الناس. كذلك تُعتبَر تربية الأبناء أمانة، والزوج والزوجة أمانة، كل هذه من أشكال الأمانة.

لذا احفظ امانتك، حتَّى يرضى عنك الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأيضًا الأمانة تجعل المجتمع أكثر تماسُكًا، وإنَّنا مهما تحدَّثنا وتكلَّمنا فلن نوفي هذه الكلمة العظيمة حقَّها.

---

(١) ينظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية (١/ ٩٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ١٥٠) برقم (١٥٤٢٤). وأبو داود في سننه (٣/ ٢٩٠) برقم (٣٥٣٤) أبواب الإجارة باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده. والترمذي في جامعه (٣/ ٥٥٦) برقم (١٢٦٤) أبواب البيوع باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٣٣) برقم (٣٧٤٥) كتاب الأدب باب المستشار مؤتمن. والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢١٢) برقم (٦٥٨٣) كتاب الوليمة، استقبال من قد دعي. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٥/ ٣٨١).

## ٢٠ شعبان

## إِنِّي حرَّمتُ الظلم على نفسي وجعلتُه بينكم مُحرَّمًا

عن أبي ذر- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربِّه عزَّ وجلَّ أنَّه قال:" يَا عِبَادِي؛ إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا". رواه مسلم(١)، هذا الحديث من أشرف الأحاديث القدسية، وموضوعه بيان غنى الله وفقر العباد إليه، قال الإمام أحمد بن حنبل: هو أشرف حديث لأهل الشام(٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: هذا الحديث قد تضمَّن من قواعد الدين العظيمة في العلوم والأعمال، والأصول والفروع؛ فإن تلك الجملة الأولى وهي قوله:"حرَّمتُ الظلم على نفسي" تتضمَّن جُلَّ مسائل الصفات والقدر؛ إذا أُعطيت حقَّها من التفسير(٣).

قوله:"يا عبادي؛ إِنِّي حرَّمتُ الظلم على نفسي" هذا يدلُّ على امتناع وقوعه من الله جل جلاله" وجعلتُه بينكم مُحرَّمًا فلا تظالموا"، حرَّمه على نفسه، وحرَّمه بإطلاق على الخلْق، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وكلُّ مَن وضع شيئًا في غير موضعه فقد ظلم، هذا أصل معناه في اللغة، ومنه قول الشاعر:

وقائلةٍ ظلمتُ لكم سقائي وهل يخفى على العَكدِ الظليمُ(٤)

والظلم عبارة عن التعدِّي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور. وقيل: هو التصرُّف في ملك الغير، ومجاوزة الحدِّ، والنصوص الواردة في ذمِّ الظلم والظالمين كثيرة ومُتنوِّعة؛ فمنها:

آياتٌ وردتْ في تنزيه الله تعالى نفسه عن الظلم، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (٥) أي: ليس بظالم لهم، بل هو الحَكَم العدل الذي لا يجور؛ لأنه القادر على كل شيء، العالم بكل شيء، فلا يحتاج مع ذلك إلى أن يظلم أحدًا من خلقه، وقال سبحانه:﴿إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٤) برقم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.

(٢) ينظر: الأذكار للنووي (ص: ٤١٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٥٧).

(٤) ينظر: مجمع الأمثال (٢/ ٤٠٦). مجمع الأمثال، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان.

(٥) غافر: ٣١.



لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١].قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: يُخبر تعالى عن كمال عدْله وفضْله وتنزُّهه عمَّا يضاد ذلك من الظلم القليل والكثير فقال:" إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ" أي: ينقصها من حسنات عبده أو يزيدها في سيئاته، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[٢] "وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا"، أي: إلى عشرة أمثالها، إلى أكثر من ذلك، بحسب حالها ونفْعها وحال صاحبها، إخلاصًا ومحبَّة وكمالًا. " وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا" أي: زيادة على ثواب العمل بنفسه من التوفيق لأعمال أُخَر، وإعطاء البر الكثير والخير الغزير[٣]. ولقد دلَّت السُّنَّة على أحاديث تُحرِّم الظلم؛ منها: عن أمِّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-:" أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مَن ظَلَمَ قِيد شبرٍ من الأرض طُوِّقَه من سبع أرضين". رواه البخاري ومسلم[٤]، وعن جابر- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" اتَّقوا الظلم؛ فإنَّ الظلمَ ظلماتٌ يوم القيامة، واتَّقوا الشحَّ؛ فإنَّ الشحَّ أهلك مَن كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلُّوا محارمهم". رواه مسلم[٥].

قال ابن القيم- رحمه الله-: سبحان الله! كم بكتْ في تنعُّم الظالم عينُ أرملة، واحترقتْ كبدُ يتيم، وجرتْ دمعةُ مسكين، كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِين، ما ابيضَّ لونُ رغيفهم حتى اسوَّد لونُ ضعيفهم، وما سمنتْ أجسامُهم حتى انتحلت أجسام ما استأثروا عليه، لا تحتقرْ دعاء المظلوم، فشرر قلبه محمول بعجيج صوته إلى سقف بيتك، ويحك! نبال أدعيته مصيبة، وإن تأخَّر الوقت، قوسه قلبه المقروح، ووتره سواد الليل، وأستاذه صاحب (لأنصرنَّك ولو بعد حين)، وقد رأيتَ ولكن لستَ تعتبر، احذرْ عداوة مَن ينام وطرفه باكٍ، يُقلِّب وجهه في السماء، يرمي سهامًا ما لها غرض سوى الأحشاء منك، فربَّما ولعلها إذا كانت راحة اللذَّة تُثمر ثمرة العقوبة لم يحسن تناولها، ما تساوي لذَّة سنة غمَّ ساعة، فكيف والأمر بالعكس، كم في يمِّ الغرور من تمساح، فاحذرْ يا غائص، ستعلم أيها الغريم قصَّتك عند علق الغرماء بك:

---

(١) النساء: ٤٠.

(٢) الزلزلة: ٧، ٨.

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٧٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٠) برقم (٢٤٥٣) كتاب المظالم والغصب باب إثم من ظلم شيئًا من الأرض. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٣١) برقم (١٦١٢) كتاب المساقاة باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٦) برقم (٢٥٧٨) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.

إذا التقى كلُّ ذي دَينٍ وماطله ستعلَمُ ليلى أيُّ دينٍ تداينتْ[١]

وعن أبي موسى- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إنَّ الله ليُملي للظالم، فإذا أخذه لم يُفلتْه. ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٢] "رواه البخاري ومسلم. قال العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله-: (يُملي له) يعني: يُمهل له حتى يتمادى في ظلمه، والعياذ بالله، فلا يُعجِّل له العقوبة، وهذا من البلاء نسأل الله أن يُعيذنا وإياكم، فمن الاستدراج أن يُملي للإنسان في ظلمه، فلا يُعاقِب له سريعًا حتى تتكدَّس على الإنسان المظالم، فإذا أخذه الله لم يُفلتْه، أخذه أخْذ عزيز مُقتدِر، ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٣][٤] فعلى الظالم أن لا يغترَّ بنفسه، ولا بإملاء الله له، فإنَّ ذلك مصيبة فوق مصيبته؛ لأنَّ الإنسان إذا عُوقِب بالظلم عاجلًا؛ فربما يتذكَّر ويتَّعظ ويدع الظلم، لكن إذا أُملي له واكتسب آثامًا، أو ازداد ظلمًا ازدادت عقوبته، والعياذ بالله، فيُؤخَذ على غرَّة حتى إذا أخذه الله لم يُفلتْه.والظلم ثلاثة أقسام:

**الأول**: ظلم النفس بالتسوية بين حقِ الخالق وحقِ المخلوق بإشراك غيره معه وهو أعظم الظلم كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾[٥]، والله لا يغفر هذا الظلم أبدًا، ويخلد صاحبه في النار إلَّا بالتوبة منه قبل الممات، وسُمِّي الشرك ظلمًا لأن المشرك خلقه الله لعبادته وشرَّفه بهذا العمل، فأنزل نفسه إلى أخسِّ المراتب، وعبد المخلوق الذليل الذي لا يضرُّ ولا ينفع من دون الله، وتعلَّق بالأوهام، وقابل الإحسان بالإساءة، وجحد حقَّ الله وكفر بنعمته.

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٢٤٢). بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

(٢) هود: ١٠٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٧٤) برقم (٤٦٨٦) كتاب تفسير القرآن باب قوله: {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد} [هود: ١٠٢]. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٧) برقم (٢٥٨٣) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.

(٤) هود: ١٠٢.

(٥) لقمان: ١٣.



**الثاني**: ظلم النفس بارتكاب الذنوب الكبائر والصغائر وتضييع الفرائض؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾[١]، وهذا الظلم تحت مشيئة الله؛ إن شاء عذَّب العاصي، وإن شاء غفر له يوم القيامة.

**الثالث**: ظلم الناس بالتعدِّي على أموالهم ودمائهم، وأعراضهم وحقوقهم، وهذا الظلم لا يترك منه الله شيئًا، ولا بدَّ فيه من القصاص يوم القيامة إلَّا أن يتحلَّل الظالم من المظلوم في الدنيا. قال النبي صلى الله عليه وسلم:" مَن كانت عنده مظلمة لأخيه من عِرْضه أو من شيء؛ فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخِذَ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه". رواه البخاري[٢].

قال الشيخ ابن باز- رحمه الله-: فالواجب الحذر من الظلم في جميع الأحوال: في النفس والمال والعِرْض، في النفس: بالقتل أو غيره، وفي المال: بالسرقة وغيرها، وفي العِرْض: بالغيبة والشتم ونحو ذلك؛ فالواجب على المسلم أن يحذر أنواعَ الظلم كلها، وأن يتَّقي الله في ذلك، يرجو رحمته، ويخشى عقابه عزَّ وجلَّ[٣].

**وختامًا**؛ يُستفاد من الحديث: تحريم الظلم، وأنَّ الله حرَّم الظلم على نفسه؛ لكمال عدله، وتحريم ظلم الإنسان لأخيه بالاعتداء على ماله أو عِرْضه أو نفسه؛ فالظلم كلُّه حرام.

---

(١) الطلاق: ١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٩) برقم (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له، هل يبين مظلمته.

(٣) من شرح الشيخ على كتاب رياض الصاحلين. ينظرموقع الشيخ عليه رحمة الله:

## ٢١ شعبان

## ستْر عورات المسلمين والتحذير من إشاعتها

إنَّ الستر نعمة من نعم الله وهباته، لا تطيب حياة الناس إلا به، ولا تسعد النفوس إلا تحت ظلاله، فهو زينة وجمال، وبهاء وجلال، به تَحفظ الأمةُ كيانَها، وترابُطَها وبنيانَها، والستر هو تغطية العيوب وإخفاء الهَنَات، وكتم المساوئ والزَّلات، قولًا وعملًا، حسًّا ومعنًى، ولقد اتَّصف ربُّنا بهذه الصفة الجليلة؛ فهو سبحانه السِتِّير، ففي سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ الله عز وجل حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحبُّ الحياءَ والسترَ[١]".

والستر لغة: تغطية الشيء، وستَر الشيءَ يستُرُه سترًا؛ أي: أخفاه.

والستر اصطلاحًا: عرَّفه النووي- رحمه الله- بأنه: الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممَّن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد[٢]، ولقد كثُرَت النصوصُ التي تحثُّ على ستر المسلم، وتُحذِّر مِن تتبُّع عوراته وزلاته ليُفضَح بين الناس، مِن ذلك قوله تعالى:﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[٣] فكلُّ ما كان سيِّئًا من القول؛ فالجهر به لا يُحبُّه الله عزَّ وجلَّ؛ لأن هذا فيه نشرٌ للرذيلة بين العباد، فإذا أَذنَبَ شخصٌ ذنبًا أو ارتكب كبيرة؛ كأن قتل نفسًا بغير حق، أو زنا أو سرق، فبابُ التوبة مفتوح للعبد، وقال صلى الله عليه وسلم:" مَن ستَر مسلمًا ستَرَه اللهُ يومَ القيامة". رواه البخاري ومسلم[٤].

ومعنى الستر في الحديث يشير إلى الستر المندوب على المسلم الذي لا يُجاهِر بالمعاصي والفساد وأذى الناس، أمَّا من عُرِف بالفساد والأذى فلا يُستحَبُّ الستر عليه، بل يجب رفع أمره إلى ولاة الأمر، حتى تتمَّ محاسبته إن لم يترتَّب على ذلك مفسدة، لأنَّ ذلك قد يُشجِّعه على ارتكاب مزيد من

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٩) برقم (٤٠١٢) كتاب الحمام باب النهي عن التعري. والنسائي في السنن الصغرى (١/ ٢٠٠) برقم (٤٠٦) كتاب الغسل والتيمم، باب الاستتار عند الاغتسال. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٩/ ١٢). المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٣٥).

(٣) النساء: ١٤٨.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٨) برقم (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٦) برقم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.



الإيذاء، وقد يُؤدِّي السكوت عنه إلى تشجيع غيره على أن يقتديَ به في أفعاله، وهذا يكون في حالة المعاصي التي تنقضي وتذهب، أمَّا إذا رأى المسلمُ رجلًا يرتكب معصية، أو مُنكَرًا فيجب عليه أن يُنكرَ عليه ذلك الفعل، فإن عجِز عن ذلك رفع أمره إلى ولاة الأمر.

وقد سُئِل الإمام ابن باز- رحمه الله- عن معنى هذا الحديث فقال: إذا رأى الإنسان من أخيه في الله أو أخته في الله عورة- يعني: معصية- فلا يفضحْه، ولا ينشرْها بين الناس، بل يستر عليه وينصحه، ويُوجِّهه إلى الخير، ويدعوه إلى التوبة إلى الله من ذلك، ولا يفضحه بين الناس، ومن فعل هذا وستر على أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة؛ لأن الجزاء من جنس العمل؛ أمَّا الذين يُظهِرون المعاصي ولا يستحيون، ويُظهِرونها بين الناس؛ فهؤلاء فضحوا أنفسهم فليسوا محلًّا للستر، كالذي يشرب الخمر بين الناس في الأسواق، وفي المحلَّات والاجتماعات، هذا قد فضح نفسه- نسأل الله العافية-، وهكذا من يعمل المعاصي الأخرى جهرة ولا يُبالي، هذا يُرفَع أمره إلى ولاة الأمور إذا كانوا يَردعون مثله ويُقيمون عليه الحد، يُرفع أمره، وليس محلَّ الستر مَن أظهر فاحشته وأعلنها- نسأل الله العافية-[(١)].

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم:" مَن ستَر عورةَ أخيه المسلمِ سَتَرَ اللهُ عورتَه يومَ القيامة، ومَن كشفَ عورةَ أخيه المسلم كشفَ اللهُ عورتَه حتى يفضحه بها في بيته". رواه ابن ماجه[(٢)]، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" يا معشر مَن أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قلبه؛ لا تؤذوا المسلمين، ولا تُعَيِّروهم، ولا تتَّبعوا عوراتهم؛ فإنَّه مَن يتَّبع عثراتِ أخيه المسلمِ يتبعِ اللهُ عورتَه، ومَن يتبعِ اللهُ عورتَه يفضحه ولو في جوف رَحْلِه". رواه الترمذي[(٣)].

والستر هنا عام لا يتقيَّد بالستر البدني فقط، أو الستر المعنوي فقط، بل يشملهما جميعًا، فمن ستَر مسلمًا ستَرَه الله في الدنيا والآخرة؛ ستر بَدَنه كأن رأى منه عورة مكشوفة فستَرَها، أو رأتِ امرأةٌ شيئًا مِن جسدِ أختِها مكشوفًا غيرَ منتبهة إليه فغطَّته، وستَره معنويًّا فلم يُظهِر عيبَه، فلم يسمح لأحدٍ أن يَغتابه ولا أن يَذمَّه، مَن فعل ذلك ستَرَه الله في الدنيا والآخرة، فلم يفضحه بإظهار

---

(١) سؤال وجه للشيخ عليه رحمة الله في برنامج نور على الدرب. ينظر موقع الشيخ عليه رحمة الله.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ٨٥٠) برقم (٢٥٤٦) كتاب الحدود باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٦/ ٤٦).

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٧٨) برقم (٢٠٣٢) أبواب البر والصلة باب ما جاء في تعظيم المؤمن. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٣٢).



عيوبه وذنوبه، قال سَماحة العلَّامةِ الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: العورة هنا هي العورة المعنوية؛ لأن العورة نوعان: عورة حسيَّة، وعورة معنويَّة؛ فالعورة الحسيَّة: هي ما يَحرُم النظر إليه؛ كالقُبُل والدُبُر، وما أشبه ذلك مما هو معروف في الفقه، والعورة المعنويَّة: وهي العيب والسُّوء الخُلقي أو العملي[١].ولقد بلغتْ عناية الإسلام بهذا الجانب الاجتماعي الراقي إلى الحثِّ على أن يستر المظلوم على الظالم. ولقد أجمع العلماء على أنَّ مَن اطَّلع على عيبٍ أو ذنبٍ أو فجورٍ لمؤمن مِن ذوي الهيئات، أو نحوهم ممَّن لم يُعرَف بالشرِّ والأذى، ولم يشتهر بالفساد، ولم يكن داعيًا إليه؛ كأن يَشرب مُسْكِرًا أو يزني أو يفجُر مُتخوِّفًا مُتخفِّيًا غير مُتهتِّك ولا مجاهر؛ يُندَب له أن يستُره، ولا يكشِفه للعامَّة أو الخاصَّة، ولا للحاكم أو غير الحاكم؛ كما قال صلى الله عليه وسلم:" مَن عَلِمَ مِن أخيه سيِّئة فسترها عليه؛ ستر الله عليه يوم القيامة". رواه أحمد[٢].

ومن مظاهر الستر: ألَّا يتتبَّع عورات المسلمين، فإن تتبُّع عورات المسلمين علامة من علامات النفاق، ودليل على أن الإيمان لم يستقر في قلب ذلك الإنسان الذي همُّه أن يُنقِّب عن مساوئ الناس ليُعلنها بين الملأ؛ لأن الأصل في المسلم أن يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه. كذلك أن يُخلص له النصيحة والدعاء بالهداية، وأن يدعو له بالاستقامة والصلاح، وأن ينصحه في السِّرِّ، فهذا أَحرى لقبول النصيحة.

ومن مظاهره أيضًا دواعي الستر على الناس، وتذكُّر المرء عيوب نفسه؛ قال الشاعر:

إِذَا شِـئْتَ أَنْ تَحْيَـا سَـلِيمًا مِـنَ الأَذَى ... وَذَنْبُـــكَ مَغْفُــورٌ وَعِرْضُـــكَ صَـــيِّنُ
فَلَا يَنْطَلِقْ مِنْكَ اللِّسَـــانُ بِسَوْءَةٍ ... فَكُلُّـــكَ سَـــوْءَاتٌ وَلِلنَّـــاسِ أَلْسُـــنُ
وَعَيْنُكَ إِنْ أَبْدَتْ إِلَيْكَ مَعَايِبًا ... لِقَوْمٍ فَقُـــلْ: يَا عَيْنُ لِلنَّـــاسِ أَعْيُنُ[٣]

كذلك التفكُّر في فضل الستر على الناس: فعن أبي هريرة- رضِي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا يَسترُ عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستَرَه اللهُ يوم القيامة". رواه مسلم[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٣٤٩) برقم (٩٦٢). والحديث صححه لغيره الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٨٧). المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

(٣) ينظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص: ٣٦٢). النور السافر عن أخبار القرن العاشر، المؤلف: محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (المتوفى: ١٠٣٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠٢) برقم (٢٥٩٠) كتاب البر والصلة والآداب باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا،



قال الفضيل بن عياض- رحمه الله-:" المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويُعيِّر[(١)]".

وليعلم أنَّ عدم الستر على العاصي قد يدفعه لمزيدٍ من المعصية؛ فيندب للمسلم إذا وقعتْ منه هفوة أو زلَّة أن يَستر على نفسه، ويتوب بينه وبين الله عزَّ وجلَّ، وألَّا يَرفع أمْره إلى السلطان، ولا يكشفه لأحدٍ كائنًا ما كان؛ لأنَّ هذا مِن إشاعة الفاحشة التي توعَّد الله تعالى فاعلها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[(٢)]، ولأنه هتكٌ لستر اللهِ سبحانه وتعالى، ومجاهَرة بالمعصية؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم:" اجْتَنِبوا هذه القاذورة، فمَن ألَمَّ فليستترْ بستر الله وليتُبْ إلى الله؛ فإنَّ مَن يُبدِ لنا صفحتَه نُقِم عليه كتابَ الله". أخرجه الحاكم[(٣)].

**الخلاصة**: يُحبُّ اللهُ سبحانه وتعالى الستر على الخلْق، ويأمُر به. وفضل الستر على المسلمين عظيم، فهو سببٌ لستر الله في الدنيا والآخرة، وأنَّ عقوبة تتبُّع عورات المسلمين والتجسُّس عليهم؛ أنَّ مَن فعَل ذلك فإنَّ الله يفضحه ويُظهِر للناس ما يستره عنهم.

---

بأن يستر عليه في الآخرة.

(١) جامع العلوم والحكم (ص: ٨٢). جامع العلوم والحكم، المؤلف : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر : دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.

(٢) النور: ١٩.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٢٧٢) برقم (٧٦١٥). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٩٣).

## ٢٢ شعبان

## من كان في حاجة أخيه (قضاء حوائج الناس)

جاء الإسلام ليُتمِّم مكارم الأخلاق، فأبقى على بعض الأخلاق الفاضلة التي كانت منتشرة عند العرب قبل الإسلام؛ مثل: الشجاعة، والكرم، وإغاثة الملهوف، ومساعدة الآخرين، فالمجتمع الإسلامي مجتمع متكافل، ويُعَدُّ جميع أفراده شبكةً واحدةً يتعاونون معًا لقضاء حاجات بعضهم البعض، وأمر الله تعالى بالسعي لقضاء حاجات الناس، وجعلها من باب التعاون على البر والتقوى، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[١]، قال سَماحة العلَّامةِ الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: والمراد بالحوائج: ما يحتاجه الإنسانُ ليكمل به أموره، وأمَّا الضروريات فهي ما يضطر إليه الإنسان ليدفع به ضرره، ودفْع الضرورات واجبٌ؛ فإنه يجب على الإنسان إذا رأى أخاه في ضرورة أن يدفع ضرورته؛ فإذا رآه في ضرورة إلى الطعام، أو إلى الشراب، أو إلى التدفئة، أو إلى التبردة؛ وجب عليه أن يقضي حاجته، ووجب عليه أن يُزيلَ ضرورته ويرفعها[٢]، وقضاء حاجات الناس لا يقتصر على النواحي المادية فقط، بل يشمل كل ما يمكن أن يفيد الشخص المحتاج سواءً من الناحية المادية والحسية، أم من الناحية النفسية، مثل: النفع بالعلم أو النصيحة أو الرأي أو المشورة، وإن قضاء الحوائج واصطناع المعروف باب واسع يشمل كل الأمور المعنوية والحسية التي حثَّنا الإسلام عليها ، قال العلَّامة السعدي- رحمه الله- : أي ليُعِنْ بعضكم بعضًا على البر؛ وهو اسم جامع لكل ما يُحبُّه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة من حقوق الله وحقوق الآدميين[٣]، وهو نوع من الإيثار الذي مدح الله تعالى به المؤمنين فقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/ ٢٣).

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢١٩).



يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[١] ، ولقد ضرب النبي- صلى الله عليه وسلم- المثل والنموذج الأعلى في الحرص على الخير والبر والإحسان، وفي سعيه لقضاء حوائج الناس وبخاصة للضعفاء والأيتام والأرامل، عَنْ أَنَسٍ- رضي الله عنه-" أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ:يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: يَا أُمَّ فُلَانٍ؛ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ، فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا".رواه مسلم[٢].

ولقد اقتدى الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- بالنبي صلى الله عليه وسلم في الحرص على السعي لقضاء حوائج الناس، وكانوا يكتبون إلى ولاتهم بذلك، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري- رضي الله عنهما-:" إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ وُجُوهٌ يَرْفَعُونَ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْهِمْ؛ فَأَكْرِمْ وُجُوهَ النَّاسِ، فَبِحَسْبِ الْمُسْلِمِ الضَّعِيفِ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُنْصَفَ فِي الْحُكْمِ وَالْقِسْمَةِ[٣]".

ولا يقتصر السعي في قضاء حوائج الناس على النفع المادي فقط، ولكنه يمتدَّ ليشمل النفع بالعلم، والنفع بالرأي، والنفع بالنصيحة، والنفع بالمشورة، والنفع بالجاه، والنفع بالسلطان.

ومن نعم الله تعالى على العبد أن يجعله مفتاحًا للخير والإحسان، عَنْ سهل بن سعد- رضي الله عنه- عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" عِنْدَ اللَّهِ خَزَائِنُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، مَفَاتِيحُهَا الرِّجَالُ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، وَمِغْلاقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ، وَمِغْلاقًا لِلْخَيْرِ". أخرجه ابن ماجه[٤]، وأن يُسخِّره لقضاء حوائج الناس، عَنِ ابْنِ عُمَرَ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:"إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنْهُمْ وَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ". رواه الطبراني[٥].

ولقضاء الحوائج آداب كثيرة؛ منها:

---

(١) الحشر: ٨ – ٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٢) برقم (٢٣٢٦) كتاب الفضائل باب قرب النبي عليه السلام من الناس وتبركهم به.

(٣) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤١٧). فضائل الصحابة، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ – ١٩٨٣.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٨٧) برقم (٢٣٨) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من كان مفتاحًا للخير. والحديث حسنه لغيره الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٣٥).

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٣/ ٢٠٧) برقم (١٣٩٢٥). والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٦/ ١٣٤). المعْجَمُ الكَبِير للطبراني المجلَّدان الثَّالِثَ عَشَرَ والرابع عشر، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي.



الإخلاص في الأعمال وعدم المنِّ بها؛ قال عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما-: لا يتمُّ العمل إلَّا بثلاث: تعجيله وتصغيره وستره، فإنه إذا عجَّله هنَّأه، وإذا صغَّره عظَّمه، وإذا ستره تمَّمه[١].

واعلم أنَّ من علامات الإخلاص: استواء المدح والذم من العامَّة، ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال، واقتضاء ثواب الأعمال في الآخرة[٢].

ومن الأدب طلب الحاجة من الكريم دون اللئيم: فعندما يُطلَب منك أي عمل فاعلم أن الحاجة لا تُطلَب إلَّا من كريم، وقد أحسن الظنَّ بك من طلب منك أداء العمل، واستمع إلى قول ابن عباس- رضي الله عنهما-: ثلاثة لا أكافئهم: رجل بدأني بالسلام، ورجل وسَّع لي في المجلس، ورجل اغبرَّت قدماه في المشي إرادة التسليم عليَّ، وأمَّا الرابع فلا يكافئه عني إلَّا الله عز وجل، قيل فمَن هو؟ قال: رجلٌ نزل به أمرٌ، فبات ليلته يُفكِّر بمَن ينزله، ثم رآني أهلًا لحاجته فأنزلها بي[٣]. أراد بذلك مَن طلب المعونة منه[٤].

وكان يُقال: لا تصرفْ حوائجك إلى مَن معيشته في رؤوس المكاييل والموازين. وصدق الشاعر[٥]:

لا تطلُبَنَّ إلى لئيمٍ حاجةً    واقعدْ فإنَّك قائمٌ كالقاعد
يا خادعَ البخلاءِ عن أموالِهم    هيهاتَ تضربُ في حديدٍ بارد[٦]

وقال آخر:

وإذا طلبتَ إلى كريمٍ حاجةً    فلقاؤه يكفيكَ والتسليمُ
وإذا طلبتَ إلى لئيمٍ حاجةً    فألِحَّ في رفقٍ وأنت مُديمُ

---

(١) ينظر: المجالسة وجواهر العلم (٣/ ٧١). المجالسة وجواهر العلم، المؤلف : أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى : ٣٣٣هـ)، المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر : جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت – لبنان)، تاريخ النشر : ١٤١٩هـ.

(٢) ينظر: الأذكار للنووي (ص: ٧).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ٣١١)، ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٤/ ٣٦٥).

(٤) ينظر: عيون الأخبار (٣/ ١٩٧). عيون الأخبار، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ.

(٥) ينظر: بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ٦٨). بهجة المجالس وأنس المجالس، المؤلف : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي.

(٦) ينظر هذه الأبيات والتي قبلها في: بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ٦٨).

ومن الآداب الشكر والثناء: وهذا أدب لصاحب الحاجة يفتقر إليه بعض الناس، وكان من الواجب على صاحب الحاجة أن يُبالغ في الشكر والثناء لمن قضى له حاجته، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، قال صلى الله عليه وسلم:" من صُنِعَ إليه معروف، فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا؛ فقد أبلغ في الثناء". رواه الترمذي[(١)].

فالساعي في قضاء حوائج إخوانه المؤمنين يقضي الله حوائجه في الدنيا والآخرة، ومن كان في عون أخيه كان الله في عونه، ومن فرَّج عن أخيه كربة فرَّج الله عنه، لما روي عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه قال:" مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا؛ نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا؛ سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ ". رواه مسلم[(٢)].

يُبيِّن هذا الحديث الفضل والأجر العظيم للساعي في قضاء حوائج النّاس؛ فمن خفَّف ورفع عن أخيه المسلم الشدَّة والتعب والعناء؛ أعطاه الله من فضله وإحسانه في الآخرة، ورفع عنه من كرب يوم القيامة، ومن أمهل مُعسرًا إلى حين ميسرته، أو أسقط عنه الدَّين، أو أعطاه من ماله لفكِّ عُسرته، يسَّر الله تعالى أموره في الدنيا والآخرة، وقد بيَّن الحديث أيضًا مظهَرًا آخر من مظاهر مساعدة الآخرين وقضاء حوائجهم؛ ويتمثّل ذلك بستر أحوالهم، وعيوبهم، وأسرارهم، وذنوبهم، ليستر الله تعالى عليه عيوبه في الدنيا، ويستره في الآخرة، ومن سعى في قضاء حوائج غيره من الناس في دفع الضرِّ عنهم، أو مساعدتهم في جلب منفعة لهم؛ يتولَّاه الله تعالى في كلِّ أموره وحوائجه؛ فإنَّ مَن يقضي حوائج إخوانه المؤمنين يقضي الله حوائجه في الدنيا والآخرة، ومن يُنفِّس عن كربهم يُنفِّس الله عن كربه في الدنيا والآخرة، وييسِّر له أموره، ويبارك له في أعماله، ويوفِّقه ويبارك له في حياته؛ فلا تتردَّدْ في قضاء حوائج إخوانك، والسعي لهم؛ فإنها نعمة عظيمة، فحافِظْ عليها بشكرها، وداوِمِ العمل بلوازمها.

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٨٠) برقم (٢٠٣٥) أبواب البر والصلة سنن الترمذي باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٧٨) برقم (٩٩٣٧) كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول لمن صنع إليه معروفًا. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٥/ ٢٨٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) برقم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.



## ٢٣ شعبان

## الحياء من الإيمان

الحياء خصلة من خصال الإيمان، وخُلُقٌ من أخلاق الإسلام، من اتَّصف به حسُن إسلامه، وعلتْ أخلاقه، من اتَّصف به هجر المعصية خجلًا من ربِّه، وأقبل على طاعته بوازع الحُبِّ والتعظيم، إنها خصلة تُبعدك عن فضائح السيِّئات وقبيح المنكرات، إنها من شُعَب الإيمان، إنها تكسوك وقارًا واحترامًا، خصلة هي دليل على كرم السجيَّة وطيب النفس، بل هي صفة من صفات الأنبياء والصالحين ، إنها صفة جميلة في الرجال، وفي النساء أجمل، كسْبُها يجعل القبيح جميلًا، وفقْدها يجعل الجميل قبيحًا، والحياء هو: انقباض النفس من شيءٍ وتركه حذرًا عن اللوم فيه.

والحياء محلُّه الوجه، ومنبعه من القلب، وهو صفة من صفات الله عز وجل، وهي صفة كمال تدلُّ على الكرم والفضل، والجود والجلال، عن سلمان- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إذا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا". رواه أبو داود وابن ماجه(١).

قال الهرَّاس: وحياؤه تعالى وصف يليق به، ليس كحياء المخلوقين، الذي هو تغيُّر وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يُعاب أو يُذمُّ، بل هو ترْك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده وكرمه، وعظيم عفوه وحلمه؛ فالعبد يُجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكنَّ الربَّ سبحانه مع كمال غناه وتمام قدرته عليه؛ يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيِّؤه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر(٢).

والفرق بين الحياء والخجل: أنَّ الخجل معنى يظهر في الوجه لغمٍّ يلحق القلب عند ذهاب حجة، أو ظهور على ريبة وما أشبه ذلك، فهو شيء تتغيَّر به الهيئة، والحياء: هو الارتداع بقوة الحياء، ولهذا يقال: فلان يستحي في هذا الحال أن يفعل كذا، ولا يُقال: يخجل أن يفعله في هذه الحال، لأن هيئته لا تتغيَّر منه قبل أن يفعله، فالخجل مما كان، والحياء مما يكون، وقد يُستعمَل الحياء موضع الخجل توسُّعًا.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٧٨) برقم (١٤٨٨) باب تفريع أبواب الوتر باب الدعاء. والترمذي في جامعه (٥/ ٥٥٦) برقم (٣٥٥٦) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧١) برقم (٣٨٦٥) كتاب الدعاء باب رفع اليدين في الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٣٩).

(٢) شرح القصيدة النونية (٢/ ٨٦). شرح القصيدة النونية، الناظم: شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الشارح: الدكتور محمد خليل هراس (المتوفى: ١٣٩٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية /١٤١٥هـ.



ومن أهمية الحياء وفضائله: حُبُّ الله تعالى: عَنْ يَعْلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ". رواه أبو داود(١).

والحياء هو خُلُق الإسلام: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلاَمِ الْحَيَاءُ". رواه ابن ماجه(٢).

والحياء مفتاح لكل خير: رُوي عن عمران بن حصين- رضي الله عنه- قال النبي صلى الله عليه وسلم:" الحياء لا يأتي إلَّا بخير". رواه البخاري ومسلم(٣)، يقول ابن حجر- رحمه الله-: إذا صار الحياء عادة وتخلَّق به صاحبه؛ يكون سببًا يجلب الخير إليه، فيكون منه الخير بالذات والسبب(٤).

وهو مغلاق لكل شرٍّ: عن أبي مسعود- رضي الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إنَّ ممَّا أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شئت". رواه البخاري(٥).قال الإمام ابن القيم- رحمه الله-: خُلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلِّها، وأعظمها قدرًا، وأكثرها نفعًا، بل هو خاصَّة الإنسانية، فمن لا حياء فيه فليس معه من الإنسانية إلَّا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنَّه ليس معه من الخير شيء(٦).

والحياء يُكسِب محبَّة الله تعالى: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أنعم على عبد نعمة؛ يُحبُّ أن يرى أثر النعمة عليه، ويكره البؤس والتباؤس، ويبغض السائل الملحِف، ويُحبُّ الحيي العفيف المتعفِّف". رواه البيهقي في شعب الإيمان(٧).

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٩) برقم (٤٠١٢) كتاب الحمام باب النهي عن التعري. والنسائي في سننه الصغرى (١/ ٢٠٠) برقم (٤٠٦) كتاب الغسل والتيمم باب الاستتار عند الاغتسال. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٣٦٧).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٩٩) برقم (٤١٨١) كتاب الزهد باب الحياء. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ١٨١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٩) برقم (٦١١٧) كتاب الأدب باب الحياء. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٤) برقم (٣٧) كتاب الإيمان باب شعب الإيمان.

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٥٢٢). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٩) برقم (٦١٢٠) كتاب الأدب باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت.

(٦) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٧٧). مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت.

(٧) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨/ ٢٦٣) برقم (٥٧٩١). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٣١٠). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي — الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

والحياء يُدخِل الجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ". رواه أحمد وأبو داود والترمذي(١).

وينقسم الحياء باعتبار محلِّه إلى قسمين:

١- حياء فطري: وهو الذي يُولد مع الإنسان متزودًا به، ومن أمثلته: حياء الطفل عندما تنكشف عورته أمام الناس، وهذا النوع من الحياء منحة أعطاها الله لعباده.

٢- حياء مُكتسَب: وهو الذي يكتسبه المسلم من دينه، فيمنعه من فعل ما يُذمُّ شرعًا، مخافة أن يراه الله حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره، وينقسم باعتبار مُتعلِّقه إلى قسمين:

١- الحياء الشرعي: وهو الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام، وهو محمود.

٢- الحياء غير الشرعي: وهو ما يقع سببًا لترْك أمر شرعي، وهذا النوع من الحياء مذموم، وهو ليس بحياء شرعي، وإنما هو ضعف ومهانة.

**ومن فوائده**: أنَّ الحياء من خصال الإيمان، هجر المعصية خجلًا من الله سبحانه وتعالى، الإقبال على الطاعة بوازع الحبِّ لله عزَّ وجلَّ، يُبعِد عن فضائح الدنيا والآخرة، أصل كلِّ شُعَب الإيمان، الحياء يكسو المرء الوقار؛ فلا يفعل ما يُخلُّ بالمروءة والتوقير، ولا يؤذي من يستحق الإكرام، كما أنه لا يمنع من مواجهة أهل الباطل ومرتكبي الجرائم، بل هو دليل على كرم السجيَّة وطيب المنبت، فضلًا عن كونه من صفات الأنبياء والصحابة والتابعين، ويُعَدُّ صاحبه من المحبوبين عند الله وعند الناس، وأخيرًا فهو يمنع الشخص عن الفواحش، ويجعله يستتر بها إذا هو سقط في شيء من أوحالها.

والحياء المحمود من الصفات الحميدة، والأخلاق النبيلة، التي حثَّنا عليها الشرع، والتي تدلُّ على ترك القبيح، ولهذه الصفة صور، نذكر منها:

١- الحياء من الله: وذلك بالخوف منه ومراقبته، وفعل ما أمر واجتناب ما نهى عنه، وأن يستحي المؤمن أن يراه الله حيث نهاه، وهذا الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي والآثام لأنه مرتبط بالله يراقبه في حلِّه وترحاله.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٦/ ٣٠٥) برقم (١٠٥١٢). وأبو داود في سننه (٣/ ٢٩٠) برقم (٣٥٣٤) أبواب الإجارة باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده. والترمذي في جامعه (٤/ ٣٦٥) برقم (٢٠٠٩) أبواب البر والصلة باب ما جاء في الحياء. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٠) برقم (٤١٨٤) كتاب الزهد باب الحياء. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٧٦).



٢- الحياء من الملائكة: وذلك عندما يستشعر المؤمن بأن الملائكة معه يرافقونه في كل أوقاته، ولا يفارقونه إلَّا عند الغائط وعندما يأتي الرجل أهله، فهذا يدل على قوة إيمان المؤمن، وهو بهذا يستحي أن يقترف ما حرَّم الله.

٣- الحياء من الناس: وهو دليل على مروءة الإنسان؛ فالمؤمن يستحي أن يؤذي الآخرين سواء بلسانه أو بيده، فلا يقول القبيح ولا يتلفَّظ بالسوء، ولا يطعن أو يغتاب أو ينمُّ على الآخرين، وكذلك يستحي من أن تنكشف عوراته فيطَّلع عليها الناس.

٤- الحياء من النفس: وذلك عندما يكون الإنسان وحده بعيدًا عن أنظار الناس، فيستحي عن اقتراف الذنوب والآثام حياء من نفسه التي بين جنبيه، وهذا الحياء هو الذي يثبت حقيقة الحياء من الله، والحياء موجود في فطرة الإنسان، وعلينا أن نجعله رفيقًا لنا في كل أقوالنا وأفعالنا.

**أخيرًا**: إنَّ ما تعانيه المجتمعات اليوم من المحن، وتتابع الفتن، واستباحة المحرَّمات، ومعانقة الرذيلة؛ ما ذاك إلَّا بسبب فقْد الحياء. إنَّ منزوع الحياء لا تراه إلَّا على قبيح، ولا تسمع منه إلَّا لغوًا وتأثيمًا، عين غمَّازة، ونفس همَّازة، ولسان بذيء؛ يتركه الناس اتِّقاء فحشه، مجالسته شرٌّ، وصحبته ضُرٌّ، وفعله عدوان، وحديثه بذاء.

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي ... وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
فَلا وَاللَّهِ مَا فِي العَيْشِ خَيْرٌ ... وَلا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ
يَعِيشُ المرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ ... وَيَبْقَى العُودُ مَا بَقِيَ اللِّحَاءُ[١]

---

(١) ينظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٣/ ٢٠٨).



## ٢٤ شعبان

## مكارم الأخلاق

إن دعوةَ النبي صلى الله عليه وسلم انطلقت من كونها تدعو إلى مكارمِ الأخلاق، فقد جاء في الحديث الشريف قوله- عليه الصلاة والسلام-:" إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ- وفي رواية (صالحَ)- الأخلاقِ" أخرجه أحمد[١]؛ فالأخلاق الحسنة أساس بناء المجتمع، وهي من أهمِّ ما يدعو له الدين الإسلامي؛ فكأنَّما الأخلاق بناء شيَّده الأنبياء على مر العصور، وجاءت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم مُتمِّمة لهذا البناء، وكأنما حصر النبي- صلى الله عليه وسلم- الهدف الأساس من بعثته في تعليم الناس مكارم الأخلاق، وفي هذا دلالة على مكانتها العظيمة في الشريعة الإسلامية.

والمقصود بمكارم الأخلاق: يعني الأخلاق الحسنة التي يتمثَّل بها الإنسان، والأخلاق الحسنة هي أنماط السلوك الحسن الخيِّر والمعروف في الحياة، وسواء كان هذا السلوك باطنًا أو ظاهرًا، وهي تصدُر عن الإنسان بإرادته، وتكون لأجلِ تحقيق غاية وهدف مُعيَّن خيِّر، وهناك علم يُعنَى بدراسة الأخلاق الإسلامية، والتي تكون مأخوذةً من آياتِ القرآن الكريم والأحاديث التي تُبيِّن الخير والشرَّ، وأسس المقارنة بينهما.

ومن أبرز مكارم الأخلاق التي وجب التحلِّي بها: القناعة، والرضا، والبرُّ، والإحسان، والصدق، والأمانة، والصبر، والحلم، والأناة، والشجاعة، والتحمُّل، والتروِّي، والكرم، والاعتدال، والإيثار، والعدل، والحياء، والشكر، وحفْظ اللسان والجسد، والشورى، والوفاء، والعفَّة، والتواضع، والعزَّة، والقوَّة، والتعاون، والتسامح، وفعْل الخير، والبُعْد الشر، والمساعدة، والنيَّة الحسنة، وكفُّ الأذى عن الناس، وطاعة الوالدين، ونشْر المحبَّة، والستر، وحفظ السِّرِّ، والمحافظة على الدين، والصلاة، والتقرُّب إلى الله، والبُعد عن النميمة والغيبة وشتْم الناس.

ولمكارمِ الأخلاق فضائل عظيمة، وقد بيَّنها العلماء من خلال القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة منها:

مكارم الأخلاق من الأعمال التي تُدخِل المسلم الجنة، بل وهي من الأعمال الموصِّلة للفردوس الأعلى، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم:" أَنا زعيمٌ ببيتٍ في ربَضِ الجنَّةِ لمن ترَكَ المراءَ وإن كانَ مُحقًّا، وببيتٍ في وسطِ الجنَّةِ لمن ترَكَ الكذبَ وإن كانَ مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنَّةِ لمن حسَّنَ خُلقَهُ". رواه أبو داود[٢].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ٥١٢) برقم (٨٩٥٢). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٤٦٤).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٥٣) برقم (٤٨٠٠) كتاب الأدب باب في حسن الخلق. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٠٠).



مكارم الأخلاق سببٌ لمحبَّة الله تعالى لعباده، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم:" أَحَبُّ عبادِ اللهِ إلى اللهِ أحسَنُهُمْ خُلُقًا" أخرجه الطبراني(١).

ومكارم الأخلاق سببٌ لمحبَّة الرسول صلى الله عليه وسلم والقُرْب منه يوم القيامة، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسِنُكم أخلاقًا، وإنَّ أبغَضَكم إليَّ وأبعدَكم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ الثَّرثارونَ والمتشدِّقون والمتفَيهِقونَ. قالوا: يا رسولَ اللهِ؛ قد علِمنا الثَّرثارونَ والمتشَدِّقون، فما المتفَيهِقونَ؟ قال: المتكبِّرونَ". رواه الترمذي(٢).

مكارم الأخلاق كذلك أثقل شيء في الميزان يوم القيامة، فقد قال صلى الله عليه وسلم:" ما من شيءٍ في الميزانِ أثْقلُ من حُسْنِ الخُلُقِ". رواه أبو داود(٣).

مكارم الأخلاق سببٌ لمضاعفة الأجور والثواب، فقد قال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرجاتِ قائمِ اللَّيْلِ صائمِ النَّهارِ". رواه أحمد وأبو داود(٤).

ولأنَّ الأخلاقَ يمكن اكتسابها؛ فهناك وسائل يستطيع الإنسان من خلالها أن يكتسب حُسن الخُلُق؛ ومن ذلك ما يلي:

سلامة العقيدة: فشأنُ العقيدةِ عظيم، وأمرها جلل؛ فالسلوك- في الغالب- ثمرة لما يحمله الإنسانُ من فكر، وما يعتقدُه من مُعتقَد، وما يدينُ به من دين، والانحرافُ في السلوكِ إنما هو ناتجٌ عن خللٍ في المعتقَد، ثم إنَّ العقيدةَ هي الإيمان، وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا، فإذا صحَّتِ العقيدةُ حسُنت الأخلاق تبعًا لذلك.

كذلك الدعاء: فالدعاءُ باب عظيم، فإذا فُتِح للعبدِ تتابعت عليه الخيراتُ، وانهالت عليه البركاتُ، فمن رغب في التحلِّي بمكارم الأخلاق، ورغب في التخلِّي عن مساوئ الأخلاق؛ فلْيلجأ إلى ربِّه، وليرفعْ

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٨١) برقم (٤٧١) بلفظ: "قالوا: فمن أحب عباد الله إلى الله؟ قال: «أحسنهم خلقا»". والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٠).

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٧٠) برقم (٢٠١٨) أبواب البر والصلة باب ما جاء في معالي الأخلاق. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ١٨).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٥٣) برقم (٤٧٩٩) كتاب الأدب باب في حسن الخلق. والترمذي في جامعه (٤/ ٣٦٣) برقم (٢٠٠٣) أبواب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٢٩٩).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤٢/ ٣٤٦) برقم (٢٥٥٣٧). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٥٢) برقم (٤٧٩٨) كتاب الأدب باب في حسن الخلق. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٤٢١).

إليه أكفَّ الضراعة، ليرزقه حُسْنَ الخُلُق، ويصرف عنه سيِّئه، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرَ الضراعة إلى ربِّه يسأله أن يرزقه حُسْن الخُلُق، وكان يقول في دعاء الاستفتاح:" اللهم اهدني لأحسنِ الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلَّا أنت، واصرف عني سيِّئها، لا يصرفُ عنِّي سيِّئها إلَّا أنت" رواه مسلم[١].كذلك المجاهدة: ذلك أنَّ الخُلُق الحَسَن نوعٌ من الهدايةِ يحصلُ عليه المرء بالمجاهدة، قال عز وجل: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾،[٢] فمن جاهد نفسه على التحلِّي بالفضائل، وجاهدها على التخلِّي عن الرذائلِ، حصل له خير كثير، واندفع عنه شرٌّ مستطير. والمحاسبة: وذلك بنقْدِ النفس إذا ارتكبت أخلاقًا ذميمة، وحمْلها على ألَّا تعود إلى تلك الأخلاقِ مرَّةً أخرى، مع أخْذها بمبدأ الثوابِ إذا أحسنتْ، وأخْذها بمبدأ العقابِ إذا توانتْ وقصَّرتْ، فإذا أحسنتْ أراحها وأجمَّها، وأرسلها على سَجِيتها بعضَ الوقت في المباح، وإذا أساءتْ وقصَّرتْ أخذها بالحزمِ والجدِّ، وحرمها من بعضٍ ما تريد. كما أنَّ المرءِ إذا رغب في مكارم الأخلاق، وأدرك أنها من أولى ما اكتسبتْها النفوس، وأجلُّ غنيمة غنمها الموفَّقون؛ سهُل عليه نيلُها واكتسابُها، وعلو الهمَّة يستلزم الجدَّ والإباء، ونشدان المعالي، وتطلاب الكمال، والترفُّع عن الدنايا، والصغائر، ومُحقِّرات الأمور، والهمَّةُ العالية لا تزالُ بصاحبِها تضربه بسياط اللوم والتأنيب، وتزجرُه عن مواقفِ الذل، واكتساب الرذائل، وحرمان الفضائل، حتى ترفعه من أدنى دركاتِ الحضيض إلى أعلى مقامات المجدِ والسؤدد. قال ابن القيم- رحمه الله-:" فمن علت همَّتُه، وخشعت نفسُه؛ اتَّصف بكلِّ خُلُق جميل، ومن دنت همَّتُه، وطغت نفسُه؛ اتَّصفَ بكلِّ خلق رذيل[٣]".

قال العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله-: وحُسْن الخُلُق يكون بالطبع ويكون بالتطبُّع، وأنَّ حُسْن الخُلُق بالطبع أكمل من حُسْن الخُلُق بالتطبُّع، وذكرنا لذلك دليلًا؛ وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم للأشج بن عبد القيس:" بل جبلك الله عليهما". رواه أبو داود[٤]، وكذلك لأنَّ حُسْن الخُلُق

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٣٤) برقم (٧٧١)كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) الفوائد لابن القيم (ص: ١٤٤). الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٥٧) برقم (٥٢٢٥)كتاب الأدب باب في قبلة الرجل. والحديث صححه الألباني كما في تخريج أحاديث شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٥٠٢). تخريج أحاديث شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة : الثانية –١٤١٤هـ.



بالطبع لا يزول عن الإنسان، لكن حُسْن الخُلُق بالتطبُّع قد يفوت الإنسان في مواطن كثيرة، لأنَّه يحتاج إلى ممارسة، وإلى معاناة، وإلى رياضة ومجاهدة، وإلى تذكُّر ذلك عند حدوث كلِّ ما يثير الإنسان، ولهذا جاء رجل إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله؛ أوصني. قال:" لا تغضب". فردَّد مرارًا. قال:" لا تغضب". رواه البخاري[١][٢].

قال الشاعر:

لِكُلِّ شَــيءٍ زِينَةٌ فِي الْــوَرَى ... وَزِينَةُ الْمَرْءِ تَمَــامُ الْأَدَبِ
قَــدْ يَشْــرُفُ الْمَــرْءُ بِآدَابِهِ ... فِينَـا وَإِنْ كَـانَ وَضِـيعَ النَّسَـبِ
كُنِ ابْنَ مَنْ شِئْتَ وَاكْتَسِبْ أَدَبًا ... يُغْنِيكَ مَحْمُـودُهُ عَـنِ النَّسَبِ[٣]

**الخاتمة**: إنَّ الأخلاق الحميدة هي من أجمل السُّبُل التي تُوصِّلنا إلى طريق الله عزَّ وجلَّ، فتكون سببًا في كسْب حُبِّه ورضاه، وسبيلًا إلى الجنة، فهي دليل على صفاء النفس وطيبتها، ومن جانب آخر هي ما يقودنا إلى التحضُّر والرُّقي، والازدهار بين المجتمعات، لذلك يجب علينا أن نغرس هذه الأخلاق في نفوس أطفالنا حتى يكبروا عليها، ونتذكَّر دائمًا أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاته الكريمة، ولنجعلها دافعًا لنا؛ لنكون قدوة بأخلاقنا الكريمة لكلِّ مَن رآنا.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٨) برقم (٦١١٦) كتاب الأدب باب الحذر من الغضب.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٦/ ٥٠٤). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن – دار الثريا، الطبعة: الأخيرة – ١٤١٣هـ.

(٣) ينظر: المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ٣١). المستطرف في كل فن مستطرف، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

## ٢٥ شعبان

## وقل ربِّ زدني علمًا (الحثُّ على طلب العلم وفضله)

يُعدُّ العلم من أهم الأمور التي تنهض بالأمم، وترفع من قدرها، حيث إنَّ وسام العلم هو السبيل لتحقيق كل طموح مراد، وكل أمر مرغوب به، لذلك فقد كان العِلم نورًا، هو نور يُضيء المستقبل والحياة، ويمحو الظلام الذي يُسبِّبه الجهل، فكل جهل منبوذ، وفي سبيل ذلك كان العِلم هو الوسيلة التي تُربِّي البشرية نفسها به، حيث يصبح الفرد منَّا في بداية عمره طالبًا للعِلم، فطلب العلم بمثابة المسؤولية، وبذلك كانت هناك بعض الأمور والوصايا التي تساعد طالب العلم في مسيرته، منها الإخلاص في العِلم، والتدرُّج في طلب العلم حيث البدء بالأهمِّ فالأهمِّ، ثم الدراسة على يد أهمِّ العلماء والأدباء، وغيرها من الوصايا التي تنهض بالفرد في سبيل العِلم، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١)، ومن رحمته جلَّ وعلا أن ركز في فِطَرِ الناس وخِلْقَتِهم ما يدعوهم إلى التعلُّم، وإلى المعرفة التي بها تصلح أمورهم ويدركون بها مصالح معاشهم؛ ولهذا كان من أمر الله تعالى الذي فَطَر عليه الخلق أن يسعوا إلى إدراك المعارف التي بها يحصل أصل المعاش؛ لهذا يخرج الطفل من بطن أمِّه لا عهد له بطعام ولا بشراب، يخرج على نحوٍ من الفقر والفاقة والحاجة؛ ما لا يُمكن أن يُسدَّ إلَّا برحمة الله عزَّ وجلَّ، وبما يسَّره من الأسباب التي تكفيه، ومن ذلك تعليمه الرضاع أول ما يكون، ثم بعد ذلك تعليمه ما يحتاج إلى تعلُّم؛ تدرُّجًا حتى يكتمل في معرفة مصالحه التي بها يحفظ حياته، ويدرك بها مصالح معاشه، وهذا الجانب من جوانب العلم هو كسْبي من جهة الممارسة والتلقِّي، والأخذ عن البيئة والمحيط الذي يدرك به الإنسان منافعه ومصالحه؛ ولهذا لا خصوصية للإنسان في هذا الجانب فيما يتعلَّق بالجانب المعاشي.

فالناس بل الحيوان على وجه الإجمال يدرك من مصالح معاشه بالفِطْرة والجبلة، وما فطر الله تعالى عليه الخَلْق من طلب مصالحهم، والنأي عن كل ما يضرُّهم.وقد امتنَّ الله تعالى على البشر بمَنٍ عظيمة، أو بِنِعمٍ كثيرة، لكن ليس ثمَّة نعمة امتنَّ الله تعالى بها على الناس تبلغ منزلة العلم بالقرآن؛ ولهذا كان أول ما ذكره الله تعالى من المِنَح التي منَّ بها على الإنسان أن علَّمه القرآن، في سورة الرحمن وهي السورة المتضمِّنة لألوان من المنح والنِّعم، والفضائل والهبات، والعطايا الخلقية

---

(١) النحل: ٧٨.



والكونية، الدينية والدنيوية، يقول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾[١] ولقد قدَّم تعليم القرآن على الخَلْق؛ لأنه بالخَلْق دون العلم ليس ثمة تميُّز، ولا هناك سمو، ولا هناك ما يوجب المدح والفضل، بل المدح والفضل فيما يُعمِّر به هذا الفؤاد، فيما يسكن نفس الإنسان من هذه المعارف، وينطق بها لسانه؛ ولذلك قال: ﴿**عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾؛ فهذه الآية التي تخصُّ امتنان الله عزَّ وجلَّ على الإنسان كانت في تعليمه القرآن الذي به يصلح باطنُه؛ وقدَّم ذلك لأنَّه الأصل، ثم بتعليمه البيان الذي يَجمُل به ظاهره؛ ولذلك أخَّره لأن جمال الظاهر العاري عن جمال الباطن لا ينفع الإنسان شيئًا، ولقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يستكثر من العلم؛ فدعا ربَّه؛ قال تعالى : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[٢].قال الإمام الآلوسي: واستدلَّ بالآية على فضل العلم حيث أُمِرَ صلى الله عليه وسلم بطلب زيادته، وذكر بعضهم أنه ما أُمِر صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء إلَّا العلم. وأخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" اللهمَّ انفعني بما علَّمتَني، وعلِّمْني ما ينفعني، وزدني علمًا، والحمد لله على كل حال"، وعن ابن مسعود- رضي الله عنه- أنه كان يدعو:" اللهمَّ زدْني إيمانًا وفقهًا ويقينًا وعلمًا"، وما هذا إلا لزيادة فضْل العلم، وفضْله أظهر من أن يُذكَر، نسأل الله تعالى أن يرزقنا الزيادة فيه ويُوفِّقنا للعمل بما يقتضيه[٣].

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: ويُؤخذ من هذه الآية الكريمة: الأدب في تلقِّي العلم، وأنَّ المستمِع للعلم ينبغي له أن يتأنَّ ويصبر حتى يفرغ المملي والمعلِّم من كلامه المتَّصل بعضه ببعض، فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده سؤال، ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام ملقي العلم، فإنَّه سبب للحرمان، وكذلك المسئول، ينبغي له أن يستملي سؤال السائل، ويعرف المقصود منه قبل الجواب، فإن ذلك سبب لإصابة الصواب[٤]، وطلب العلم يتراوح ما بين فرض عين وفرض كفايةٍ، أي أنّه لا بُدَّ من طلب العلم في الإسلام، وقد حثَّ ورغَّب الإسلام في طلب العِلم والسعي وراء الحِكمة والمعرفة، فهي

---

(١) الرحمن: ١ – ٣.

(٢) طه: ١١٤.

(٣) تفسير الألوسي = روح المعاني (٨/ ٥٧٧). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثان، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥١٤).



ضالة المؤمن التي يبحث عنها، وقد جاء في أقوال الأقدمين:" اطلبوا العِلم ولو في الصِّين"، فالعلم غاية النفوس المحبَّة للمعرفة والتَنوير، فبالعلم يُعرَف الخالق جلَّ وعلا، وبه يُعبَد ويُعظَّم، والعلم النافع أداة طيِّعة في يد الإنسان يُذلِّل بها صِعاب الحياة، وتُعينه على تقليل الوقت والمجهود، ولكي يُشجِّع الإسلام الناس على طلب العِلم فقد نصَّت العديد من الآيات في القرآن الكريم على فضل العِلم، ومكانة العلماء وفضلهم على سائر الناس قال تعالى﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١)

أمَّا فضْل السعي لطلب العِلم والسفر لأجله من بلد لآخر؛ أن الطرقات التي يسلكها المتعلِّم تصل به في الدنيا إلى مراده العلمي، وفي الآخرة هذه الطُرقات هي دربه للجنة، قال صلى الله عليه وسلم:" مَن سلك طريقًا يلتَمِس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنَّة". رواه مسلم(٢).

ولقد اعتنى أحمد شوقي في قصائده بالحديث عن فضْل العِلم، ومدى أهمية العلم في حياتنا، وأنَّ الثقافة هي عزُّ الشعوب والسبيل في استقلالها ونهضتها، فيقول:

عــزُّ الشـعوب بِعلـمٍ تَسـتقلُّ بـه ... يا ذُلَّ شـعبٍ عليــهِ العِلــمُ قــد هــانا
فعلِّموا الناس إنْ رُمتُم فلاحهــم ... إنَّ الفــلاحَ قــرين العلــمِ مُــذ كــانا
لا تُطرِ حيًّا ولا ميتًا وإنْ كرُمــا ... حتى ترى لهمــــا بالخَلْق إحســانا(٣)

**والخلاصة**: أنَّ فضائل طلب العلم عظيمة وثماره قويمة، يكفي شرفًا لأهل العلم أنَّ الله عزَّ وجلَّ استشْهَدهم على ما شَهِدَ به هو تبارك وتعالى؛ قال عزَّ وجلَّ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٤) الملائكة شهدوا وأولوا العلم أيضًا شهدوا أن لا إله إلا الله. وأنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء، قال النبي صلى الله عليه وسلم:" وإنَّ العُلَماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وَإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنَّما ورَّثوا العلمَ، فمَن أخذَهُ

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) برقم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٣) الأبيات من قصيدة لأحمد شوقي بعنوان (العلم والبر هذا مهرجانهما). ينظر: https://www.aldiwan.net/poem7124.html.

(٤) آل عمران: ١٨.



أخذَ بحظٍّ وافرٍ". رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه[١]، والأنبياء لم يتركوا لنا مالًا أو جواهر، أو ذهبًا أو فضة، وإنَّما تركوا لنا العلم، الذي عنده العلم قد أخذ أوفر الحظوظ، فلا شيء في الدنيا أشرف من العلم. كما رفَع الله عزَّ وجلَّ قدر أهل العلم لا لحسب ولا لجاه ولا لمال، وإنَّما بسبب العلم﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[٢].

(١) رواه أبو داود في سننه (٣/ ٣١٧) برقم (٣٦٤١) كتاب العلم باب الحث على طلب العلم. والترمذي في جامعه (٥/ ٤٨) برقم (٢٦٨٢) أبواب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة. وابن ماجه في سننه (١/ ٨١) برقم (٢٢٣) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. والحديث حسنه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١/ ٢٠٤).

(٢) المجادلة: ١١.

## ٢٦ شعبان

## آداب المُعلِّم والمُتعلِّم

كلُّنا يعلم أنَّ أول ما نزل من القرآن الكريم أن أمَر الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم بالقراءة﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾(١)، ثم أقسم في سورة القلم بالكتابة وأدواتها فقال تعالى﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾(٢)، ثم تتالت الآيات في بيان فضل العلم كقوله تعالى﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾(٣)، وفي الحثِّ على التعلُّم كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾(٤)، وتمَّت معجزة الدين بالقضاء على ظلام الجهل والخرافة والأمِّيَّة، ونشْر مشاعل العلم والحكمة، والحضارة والمعرفة، في أرجاء الأرض، وليس هناك من دين سماوي، أو نظام وضعي، حضَّ على العلم وقدَّسه، وأمر بتحصيله وتحكيمه، في كل خطوة من خطوات الحياة، وفي كل ميادينها كما فعل الإسلام؛ ففي وقت كان العلم محظورًا على الرعاع من الناس، ومقصورًا على طبقة الأشراف والنبلاء، لم يُبِح الإسلام العلم؛ وإنَّما جعله فريضة على جميع معتنقيه، قال صلى الله عليه وسلم:" طلب العلم فريضة على كل مسلم". رواه ابن ماجه(٥). وجعل العلم طريقًا إلى الفوز بالجنة فقال صلى الله عليه وسلم:" من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة". رواه مسلم(٦)، وجعل طالبه حبيب الملائكة الذين يقومون بتأييده ومعونته، قال صلى

---

(١) العلق: ١ – ٥.

(٢) القلم: ١.

(٣) الأنعام: ١٤٨.

(٤) التوبة: ١٢٢.

(٥) أخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٨١، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (١٧)، الحديث (٢٢٤). في الزوائد: إسناده ضعيف، لضعف حفص بن سليمان. وقال السيوطي: سُئل الشيخ محي الدين النوويّ رحمه الله تعالى عن هذا الحديث، فقال: إنه ضعيف، أي سندًا، وإن كان صحيحًا، أي معنى. وقال تلميذه جمال الدين المزّيّ: (هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن). وهو كما قال، فإني رأيت له خمسين طريقًا، وقد جمعتها في جزء. انتهى كلام السيوطي. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩١٣).

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) برقم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

الله عليه وسلم:" إنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع". رواه أحمد والترمذي(١)، وبيَّن أنَّ القليل منه خير من كثير العبادة فقال صلى الله عليه وسلم:"يَا أَبَا ذَرٍّ؛ لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ؛ وَلَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ بِهِ؛ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ". رواه ابن ماجه(٢).

والعلم عبادة، ومن الواجب أن يكون القصد فيه خالصًا لله تعالى خاليًا من الشوائب والغايات الدنيوية، فلا يكون فيه رياء وطلب سمعة وشهرة، وإنما يُقصَد به وجه الله وحده، ومن الأغراض الدنيوية التي تقدح في هذا الإخلاص التعلُّم بقصد حب الظهور، والتفوُّق على الآخرين، أو لنوال منصب أو جاه أو مال أو تعظيم، وكذلك يجب على المتعلِّم ألا يطلب العلم ليحصل على إعجاب الناس وثنائهم، فهذه الأهداف تُفسد النية وتذهب بركة العلم، إنما الواجب أن تكون الغاية هي طلب رضا الرحمن بالاشتغال بالعلم، ولمحو الجهل عن النفس وعن الآخرين.

إن للعالم والمتعلِّم آدابًا ينبغي أن يتحلَّيا بها، ويمكن أن نوجز آداب العالم في نفسه في الأمور التالية:

أن يقصِد بتعليمه وجه الله تعالى، ولا يقصد توصُّلًا إلى غرضٍ دنيوي؛ كتحصيل مالٍ أو جاهٍ أو شهرةٍ أو سمعةٍ أو تميُّزٍ عن الأشباه، أو تكثُّر بالمشتغلين عليه، أو نحو ذلك، وأن يتخلَّق بالمحاسن التي ورد الشرع بها، وحثَّ عليها، والخصال الحميدة، والشِّيم المرضية التي أرشد إليها مِن التزهُّد في الدنيا، والتقلُّل منها، وعدم المبالاة بفواتها، والسخاء والجود، ومكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه من غير خروجٍ إلى حدِّ الخلاعة، والحلم والصبر، وملازمة الورع والخشوع، والسكينة والوقار، والتواضع والخضوع، واجتناب الضَّحِك والإكثار مِن المزاح. كذلك ملازمة الآداب الشرعية الظاهرة والخفيَّة؛ كالتنظيف بإزالة الأوساخ، وتنظيف الإبط، وإزالة الروائح الكريهة، واجتناب الروائح المكروهة، وتسريح اللِّحية، والحذَر مِن الحسد والرياء والإعجاب واحتقار الناس، وإن كانوا دونه بدرجاتٍ. وأيضًا دوام مراقبتِه لله تعالى في علانيتِه وسرِه، ومحافظته على قراءة القرآنِ، ونوافل الصلوات والصوم وغيرهما، مُعتمِدًا على اللهِ تعالى في كل الأحوال.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٩) برقم (١٨٠٨٩). والترمذي في جامعه (٥/ ٥٤٥) برقم (٣٥٣٥) أبواب الدعوات باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٣٥).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (١/٧٩) برقم (٢١٩) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٢٩١).

أمَّا عن آداب العالم مع طلَّابه: فيجب على المعلِّم أن يقصد بتعليمه وجه الله تعالى، وينبغي أن يحُثَّ طلابَه على الإخلاص في طلب العلم، وفي جميعِ أمور حياتهم، وينبغي أن يُرغّب الطالب في العلم، ويُذكِّره بفضائله وفضائل العلماء وأنهم ورثة الأنبياء، ولا رتبة في الوجود أعلى من هذه، وأن يحنو على الطالب، ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح نفسِه وولده، ويُجريه مجرى ولده في الشَّفقة عليه، والاهتمام بمصالحه، والصبر على جَفائه وسوءِ أدَبه، ويعذِره في سوء أدبٍ وجفوةٍ تعرِضُ منه في بعض الأحيان، وأن يكون سَمْحًا ببذْل ما حصَّله من العلم، سهلًا بإلقائه إلى مبتغيه، متلطِّفًا في إفادتِه طالبيه؛ مع رِفْقٍ ونصيحةٍ وإرشادٍ إلى المهمَّات، ولا يدَّخِر عن طلَّابه من أنواع العلم شيئًا يحتاجون إليه، إذا كان الطالبُ أهلًا لذلك، وأن يكون حريصًا على تعليم طلابه، مهتمًّا بهم، مؤثِرًا لهم على حوائجِ نفسه ومصالحه، ما لم تكن ضرورة، ويرحب بهم عند إقبالهم إليه، ويُظهِر لهم البِشْر وطلاقة الوجه، ويُحسِن إليهم بعلمه وماله وجاهه بحسب التيسير، وينبغي أن يُحرِّض طلابه على الاشتغال في كل وقت، ويطالبهم في أوقات بإعادة محفوظاتهم، ويسألهم عما ذكَره لهم من المهمَّات، فمَن وجده حافظه مراعيًا له أكرمه وأثنى عليه، وأشاع ذلك، ما لم يَخَفْ فساد حاله بإعجابٍ ونحوه، ومَن وجده مُقصِّرًا عنَّفه، إلا أن يخافَ تنفيره، ويُعيده حتى يحفظه حفظًا راسخًا.

أما عن آداب طالب العلم: فالإخلاص لله تعالى في طلب العلم، وأن يقطع العلائق الشاغلة عن كمال الاجتهاد في التحصيل، ويرضى باليسير من القُوت، ويصبِر على ضِيق العيش، وينبغي له أن يتواضع للعلم وللمعلِّم؛ فبتواضعه يناله، ويجب أن ينظر إلى مُعلِّمه بعين الاحترام.

كذلك مِن آداب المتعلِّم أن يتحرَّى رضا المعلِّم، وإن خالف رأيَ نفسه، ولا يغتابَ عنده أحدًا، ولا يفشيَ له سرًّا، وأن يردَّ غَيبتَه إذا سمعها، فإن عجز فارق ذلك المجلس، ولا يدخل الطالب على العالم بغير إذن، وإذا دخل جماعة قدَّموا أفضلهم وأكبرهم سنًّا، وأن يدخل على الشيخِ كامل الهَيبة، فارغ القلب مِن الشواغل، وهو حسن المظهر والرائحة، ولا يرفع الطالب صوته في مجلس شيخه رفعًا شديدًا من غير حاجة، ولا يضحك ولا يكثر الكلام بلا حاجة، ولا يعبَث بيده ولا غيرها، ولا يلتفِت بلا حاجة، ويُقبل الطالب على الشيخ مُصغيًا إليه، ولا يسبقه إلى شرحِ مسألة، أو جواب سؤال، إلا أن يعلَمَ رضَا الشيخِ عن ذلك، وينبغي على الطالب أن يصبر على جفوة شيخه، وسُوء خُلقه، ولا يصُدَّه ذلك عن ملازمته، وإذا جاء الطالب مجلس الشيخِ فلم يجِدْه؛ انتظَره ولا يفوت درسَه، إلا أن يخافَ كراهةَ الشيخ لذلك، بأن يعلَمَ مِن حاله الإقراءَ في وقت بعينه، فلا يشق عليه



بطلب القراءةِ في غيره، قال الخطيبُ: إذا وجَد الشيخَ نائمًا لا يستأذن عليه، بل يصبِرُ حتى يستيقظَ أو ينصرف، والاختيار: الصَّبر[١].

كما ينبغي على الطالب أن يغتنم التحصيل في وقت الفراغ والنشاط، وحال الشباب وقوَّة البدن وقلَّة الشواغل، وأول ما يبتدئ به الطالب هو حفظ القرآنِ العزيز؛ فهو أهمُّ العلوم، وكان السلف لا يُعلِّمون الحديث والفقه إلا لمن حفظ القرآن، وإذا حفظه فليحذَرْ من الاشتغال عنه بالحديث والفقه وغيرهما اشتغالًا يُؤدِّي إلى نسيانِ شيء منه، أو تعريضه للنسيان، وبعد حِفظ القرآنِ يحفظ الطالب مِن كلِّ فنٍّ مُختصرًا، ويبدأ بالأهمِّ، ومن أهمِّها الفقه والنحو، ثم الحديث والأصول، ثم الباقي على ما تيسَّر، وينبغي على الطالب أن يُرشدَ رفقته وغيرهم من الطلبة إلى مواطن الاشتغال والفائدة، ويذكر لهم ما استفاده على جهةِ النصيحة والمذاكرة، وبإرشادهم يُبارَك له في علمه، ويستنير قلبه، وتتأكَّد المسائل معه، مع جزيل ثوابِ الله عز وجل، ولا يحسد أحدًا، ولا يحتقره، ولا يُعجَب بفهمه؛ فإن العُجْبَ آفةُ العِلم. وعليه أوَّلًا وأخيرًا باحترام المعِلِّم:

قُــمْ للمعلِّــم وفِّــه التبجــيلا ... كــاد المعلِّــمُ أن يكــونَ رســولا
أرأيتَ أعظمَ أو أجلَّ مِن الذي ... يَبني ويُنشئُ أنفُسًــــا وعُقُــولا[٢]

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ١٥٨). الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د.محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

(٢) ينظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٧/ ٣٠٠).

## ٢٧ شعبان

## آفات العلم

الجدُّ في السير إلى الله لا شكَّ أنه يحتاج إلى زاد، وإنَّ من أفضل الزاد الذي يقلُّ فيه الفساد على طول المكث هو العلم الصحيح المبنيُّ على الكتاب والسُّنَّة الذي يحثُّ حامله على العمل ويطرق في قلبه بمطارق الرجاء الحقَّ والأمل ، وينفض عنه شوائب الإحباط والكسل، ويحول بينه وبين القسوة وطول الأمد؛ فإذا بدأ السائر على الدرب في جمْع هذا الزاد؛ لا شك أنه يواجه العقبات، وتعتريه الآفات، فوجب عليه تنقية الحِمْل ممَّا علق به، حتى إذا حان الموعد، وبدأ الرحيل؛ وجد ما حمَل في أنقى صورة، وأبهى سريرة، فسُرَّ به وسعد.

والآفة لغة:كل ما يصيب شيئًا فيفسده من عاهة أو مرض أو قحط، ويقال:آفة العلم النسيان[١]. واصطلاحًا: هي جملة من المظاهر، والآداب التي تتناقض مع أخلاقيات العلم المرغوبة، والتي تُفسِد المقصد من العلم، وتُحرِّف مساره السليم، ومن أبرز آفات العلم:

١- عدم إخلاص النية لله تعالى في طلب العلم: ولقد حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من أن يكون مقصد العلم لغير وجه الله تعالى فقال:" من تعلَّم علمًا ممَّا يُبتغَى به وجه الله، لا يتعلَّمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" يعني ريحها، رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه[٢]. قال سماحة الشيخ ابن باز- رحمه الله-: هذا الحديث من أحاديث الوعيد التي عند السلف تجرى على ظاهرها؛ لأن ذلك أعظم في الزجر، وحكمه حكم سائر أهل المعاصي[٣]. فأهل العلم مطالبون بتصحيح النية حتى يخلُص العمل لله وحده، لا يشوبه شيء من حب المال، أو حب الجاه والمنزلة والشهرة عند الناس.

---

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ١٣٩). معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ١٦٩) برقم (٨٤٥٧). وأبو داود في سننه (٣/ ٣٢٣) برقم (٣٦٦٤) كتاب العلم باب في طلب العلم لغير الله تعالى. وابن ماجه في سننه (١/ ٩٢) برقم (٢٥٢) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب الانتفاع بالعلم والعمل به. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٨/ ١٦٤).

(٣) من أسئلة وجهت للشيخ عليه رحمة الله ضمن برنامج نور على الدرب. ينظر موقع الشيخ رحمه الله:



قال الإمام الغزالي- رحمه الله-: اعلم أنَّ الرياء مشتق من الرؤية، والسُّمعة مشتقة من السماع، وإنما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير؛ إلا أنَّ الجاه والمنزلة تُطلَب في القلب بأعمال سوى العبادات، وتُطلَب بالعبادات[١].

٢- كتمان العلم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٢]، قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتَّصف بكتمان ما أنزل الله {مِنَ الْبَيِّنَاتِ} الدالات على الحق المظهِرات له، {وَالْهُدَى}، وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبيَّن به طريق أهل النعيم من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم، بأن يُبيِّنوا للناس ما منَّ الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموه، فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين: كتمِ ما أنزل الله، والغشِّ لعباد الله؛ فأولئك {يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ} أي: يُبعدهم ويطردهم عن قُرْبه ورحمته، {وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة، لسعيهم في غشِّ الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله، فجُوزوا من جنس عملهم، كما أنَّ مُعلِّم الناس الخير، يُصلِّي الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخَلْق، وإصلاح أديانهم، وقُرْبهم من رحمة الله، فجُوزي من جنس عمله، فالكاتم لما أنزل الله، مضاد لأمر الله، مُشاقٌّ لله، يُبيِّن الله الآيات للناس ويُوضِّحها، وهذا يطمسها، فهذا عليه هذا الوعيد الشديد[٣].

٣- القول على الله بلا علم: وهو عين الكذب عليه تعالى، ولم يُبحِ الله عزَّ وجلَّ لأحدٍ أن يتقوَّل عليه، ولا أن يرفع إليه ما لم يقُلْه، حتى قال عن خليله وصفيِّه محمد صلى الله عليه وسلم، وقد عصمه؛ قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾[٤] قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: لا أحد أعظم ظلمًا، ولا أكبر جرمًا، ممَّن كذب على الله بأن

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٩٧).

(٢) البقرة: ١٥٩ – ١٦٠.

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٧).

(٤) الحاقة: ٤٤ – ٤٩.

نسب إلى الله قولًا أو حكمًا وهو تعالى بريء منه، وإنما كان هذا أظلم الخَلْق؛ لأن فيه من الكذب، وتغيير الأديان أصولها وفروعها ونسبة ذلك إلى الله ما هو من أكبر المفاسد(١).

قال ابن القيم- رحمه الله-: القول على الله بلا علم هو أشدُّ هذه المحرَّمات تحريمًا وأعظمها إثمًا، ولهذا ذُكِر في المرتبة الرابعة من المحرَّمات التي اتَّفقت عليها الشرائع والأديان، ولا تباح بحال، بل لا تكون إلا مُحرَّمة، وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير، الذي يباح في حال دون حال(٢).

٤- إذلال أهل العلم للعلم: لقد قعَّد السلف- رضوان الله عليهم- قاعدة من القواعد الجامعة فقالوا: العلم يُؤتَى إليه، ولا يأتي إلى أحد. قال الإمام الشافعي ناصحًا:

اِرحَل بِنَفسِكَ مِن أَرضٍ تُضامُ بِها ... وَلا تَكُن مِن فِراقِ الأَهلِ في حُرَقِ
وَالكُحلُ نَوعٌ مِنَ الأَحجارِ تَنظُرُهُ ... في أَرضِهِ وَهوَ مُرمِيٌّ عَلى الطُرُقِ
لَمّا تَغَرَّبَ حازَ الفَضلَ أَجمَعَهُ ... فَصارَ يُحمَلُ بَينَ الجَفنِ وَالحَدَقِ(٣)

٥- فقد الخشية فيه: قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(٤)، وعن ابن مسعود- رضي الله عنه- أنه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية(٥).

٦- المراء والمخاصمة والجدال: وعن أبي أمامة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَا ضَلَّ قومٌ بعدَ هُدًى كانوا عليهِ إلَّا أوتوا الجدَلَ، ثمَّ تلا رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هذهِ الآيةَ" مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ" ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ (٦). رواه أحمد والترمذي(٧) وابن ماجه، وكان الإمام الشافعي- رحمه الله- يحلف ويقول: ما ناظرت أحدًا إلا على النصيحة(٨).

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٦٥).
(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٧٨).
(٣) نظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٨/ ٦٩).
(٤) فاطر: ٢٨.
(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤٥).
(٦) الزخرف: ٥٨.
(٧) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٤٩٣) برقم (٢٢١٦٤). والترمذي في جامعه (٥/ ٣٧٨) برقم (٣٢٥٣) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة الزخرف. وابن ماجه في سننه (١/ ١٩) برقم (٤٨) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب اجتناب البدع والجدل. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٦٩).
(٨) ينظر: آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٦٩). آداب الشافعي ومناقبه، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، كتب كلمة عنه: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، قدم له وحقق أصله وعلق عليه: عبد الغني عبد الخالق، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.



٧- النِّسْيَانُ: فعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّما مَثَلُ صَاحبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الإِبِلِ المعَقَّلَةِ، إنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ". متفق عليه. قال النسابة البكريّ: إن للعلم آفة ونكدًا وهُجْنَة واستجاعة، فآفته نسيانه، ونكده الكذب فيه، وهُجْنته نَشْره في غير أهله، واستجاعته أن لا تشبع منه[1].

٨- الغرور: وهو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان، وآفة الغرور لأهل العلم من خفِيّ التلبيس. قال ابن الجوزي- رحمه الله-: إنَّ أقوامًا علت هممهم فحصَّلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والأدب وغير ذلك، فأتاهم إبليس يُخفي التلبيس فأراهم أنفسهم بعين عظيمة؛ لما نالوا وأفادوا غيرهم، فمنهم من يستفزُّه لطول عنائه فِي الطلب، فحسَّن لَهُ اللذَّات وقال لَهُ: إِلَى متى هَذَا التعب؟ فأرحْ جوارحك من كلف التكاليف، وافسح لنفسك من مشتهاها، فإن وقعتَ فِي زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة، وأورد عَلَيْهِ فضل العلماء، فإن خذل هَذَا العبد وقبل هَذَا التلبيس يهلك، وقد لبس إبليس عَلَى أقوام من المحكمين فِي العلم والعمل من جهة أخرى؛ فحسَّن لهم الكبر بالعلم، والحسد للنظير، والرياء لطلب الرياسة، فتارة يريهم أن هَذَا كالحق الواجب لهم، وتارة يُقوِّي حُبَّ ذلك عندهم، فلا يتركونه مَعَ علمهم بأنه خطأ[2].

**الخلاصة**: لما كان العلماء وطلبة العلم هم صفوة الصفوة من الناس؛ كان قليل الزلل في أخلاقهم كبيرًا عند الناس، فقد وجب أن يُطهِّروا النفوس، لا من أجل أن ينتفعوا هم بالعلم، ولكن من أجل أن ينفع الله بعلمهم، ويفتح لهم قلوب خلقه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٩٣) برقم (٥٠٣١) كتاب فضائل القرآن باب: استذكار القرآن وتعاهده. ومسلم في صحيحه(١/ ٥٤٣) برقم (٧٨٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نسيت آية كذا، وجواز قول أنسيتها.

(٢) ينظر: تلبيس إبليس (ص: ١١٦).

## ٢٨ شعبان

## صوم يوم الشك

يُعدُّ شهر رمضان المبارك من الشهور التي فضَّلها الله عز وجل وميَّزها عن غيرها، فهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن الكريم؛ هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان.

وفي هذا الشهر تتنزَّل رحمات المولى عز وجل على عباده؛ فيتلمس المسلمون خيراتها، حيث يطَّلع سبحانه على الصائمين والقائمين فيغفر لهم، ويكتب لهم عتقًا من النار، ويحرص المسلمون في كل بقاع الأرض على تحرِّي هلال شهر رمضان؛ لأن الصيام يشرع تبعًا لرؤيته، ولكن بعض المسلمين ينوي صيام يومٍ قبل تأكيد رؤية الهلال؛ ليضمن صيام رمضان كلِّه، ويخرج من الشك إلى اليقين، فما هو يوم الشك؟ وما حكم صيامه؟

أما عن تعريف وتحديد يوم الشك؛ فقد اختلف أهل العلم في تعريفه على أقوال:

**القول الأول**: أن يوم الشك هو يوم الثلاثين من شعبان؛ إذا كانت ليلته صافية ليس فيها غيم، ولم يتراءَ الناس الهلال، أو شهد برؤيته من لا تُقبَل شهادته، وبه قال الشيخ البهوتي فقال: يوم الشك يوم الثلاثين من شعبان إن لم يكن في السماء مطلع الهلال من غيم أو قتر ونحوهما، ولم يُرَ الهلال أو شهد به من رُدَّت شهادته بفسق ونحوه، وكذا في الإنصاف للمرداوي[(١)].

**القول الثاني**: يوم الشك هو اليوم الذي تراءى الناس الهلال ولم يثبت حتى جاوز وقت الرؤية، وكان دون منظر الهلال شيء من سحاب أو غيره، وهو الذي يُسمَّى يوم الإغمام، وهذا اليوم الذي انفرد الإمام أحمد عن الجمهور بصومه، وليس صوم يوم الشك، وقد التبس على كثير من المؤلِّفين، ونسبوا لمذهب أحمد الصوم يوم الشك، وهذا خطأ على الإمام أحمد وعلى مذهبه، فإنَّ مذهبه تحريم صوم يوم الشك.

---

(١) ينظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٧/ ٥٣٥)، كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٣٤١). الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (المطبوع مع المقنع والشرح الكبير)، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المرْداوي (المتوفى: ٨٨٥ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م كشاف القناع عن متن الإقناع، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.



**القول الثالث:** وهو قول جمهرة فقهاء المسلمين، وهو قول علي بن أبي طالب، وعائشة، وابن عمر- رضي الله عنهم أجمعين-، وابن سيرين، وبه قال الإمام أبو حنيفة. قال السرخسي: ومعنى الشك أن يستوي طرف العلم وطرف الجهل بالشيء، وإنما يقع الشك من وجهين: إما إن غم هلال شعبان فوقع الشك أنه اليوم الثلاثين منه، أو الحادي والثلاثون، أو غم هلال رمضان فوقع الشك في اليوم الثلاثين أنه من شعبان أو رمضان(١).

قال النووي: قال أصحابنا يوم الشك هو يوم الثلاثين من شعبان إذا وقع في ألسنة الناس أنه رُئي، ولم يقلْ عدلٌ إنه رآه، أو قاله عدد من النساء، أو الصبيان، وهذا الحد لا خلاف فيه عند أصحابنا، قالوا: فأمَّا إذا لم يتحدَّث برؤيته أحد فليس بيوم شك، سواء كانت السماء مصحية أو أطبق الغيم، هذا هو المذهب، وبه قطع الجمهور(٢).

وإلى هذا ذهب سماحة الشيخ ابن باز- رحمه الله-، وقد نصَّ بقوله: يوم الثلاثين من شعبان إذا لم تثبت رؤية الهلال؛ فإنه يوم شك لا يجوز صومه في أصح قولي العلماء، سواء كان صحوًا أو غيمًا(٣).

ويوم الشك بين الحساب الفلكي والرؤية البصرية مسألة تظهر قبيل حلول شهر رمضان في كل عام؛ وهي مسألة اعتماد الحساب الفلكي بهدف الخروج من دائرة الشك في ثبوت دخول الشهر الفضيل، إلَّا أنَّ للعلماء في هذه المسألة بيانًا وتفصيلًا، فإن الاعتماد على الحساب الفلكى فى إثبات دخول شهر رمضان ينطوي على مخاطر جسيمة، ولعل أهمها: إسقاط الرؤية البصرية كمرجع في المسألة، وهي العلَّة الشرعية المعتبَرَة الموجِبة للصوم والإفطار، وهذا يعني إحداث علَّة جديدة للصوم والفطر لم يشرعها الله تعالى، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي هريرة- رضي الله عنه-:" صوموا لرؤيَتِهِ وأفطِروا لرؤيتِهِ، فإنْ غُبِّيَ عليكم فأكملوا

---

(١) ينظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٢/ ٥٥٣). شرح الزركشي، المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (المتوفى: ٧٧٢هـ)، الناشر: دار العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٢) المبسوط للسرخسي (٣/ ٦٣). المبسوط، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٣) المجموع شرح المهذب (٦/ ٤٠١). المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر.



عدةَ شعبانَ ثلاثينَ". رواه البخاري ومسلم[١]، وللحديث عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إذا رأَيتُموه فصوموا، وإذا رأَيتُموه فأَفطِروا، فإن غُمَّ عليكم فاقدُروا له". رواه البخاري ومسلم،[٢].

والمقصود من هذه الأحاديث الشهادة البيّنة العادلة، لا أن يرى كلُّ واحد الهلال بنفسه، والاعتماد على الحساب الفلكي إهدار لهذا المطلب والمقصد الشرعي، بل إسقاط لحجية الرؤية الشرعية، وهو كذلك شذوذ عن إجماع من يُعتدُّ به من أهل الفقه في المذاهب المعتبَرة، ولقد أجمع الفقهاء على وجوب الالتزام بالعلَّة الشرعية للشروع بالصوم، وهي الرؤية البصرية للهلال، وأجمعوا على رفض الأخذ بالحساب الفلكي سواء كان ذلك في حالة الصحو وصفاء السماء أم في حالة الغيم واضطراب الرؤية، وشذّ عن الإجماع طائفة من المتأخِّرين، ولا عبرة بمعارضتهم وشذوذهم مع انعقاد الإجماع الفقهي قبله، فضلًا عن أنه جرى العمل عبر العصور الإسلامية السالفة على اعتماد الرؤية البصرية بالرغم من كونهم قد برعوا في علم الفلك، وأنشأوا له المراصد، لكنهم منعوه من الدخول فى مجال العلل الشرعية للأحكام. هذا وقد تباينت مذاهب الفقهاء في مسألة صيام آخر يومٍ في شهر شعبان على أقوال عدَّة، وبيانها فيما يأتي:

**القول الأول**: النهي عن صيامه بحقِّ مَن نوى صيامه من باب الاحتراز لإدراك شهر رمضان من أوله، وقد فرَّق عبد الله ابن عمر- رضي الله عنهما- في المسألة من حيث كون يوم الثلاثين من شهر شعبان صحوًا أم غيمًا[٣]، ووافقه في ذلك أحمد بن حنبل- رحمه الله-[٤].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١٥/ ٤٠٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٧) برقم (١٩٠٩) كتاب الصوم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا». ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٦٢) برقم (١٠٨١) كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والفطر لرؤية الهلال، وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوما.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٥) برقم (١٩٠٠) كتاب الصوم باب: هل يقال رمضان أو شهر رمضان، ومن رأى كله واسعا. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٦٠) برقم (١٠٨٠) كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والفطر لرؤية الهلال، وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوما.

(٤) ينظر: كشف اللثام شرح عمدة الأحكام (٣/ ٤٨٥)؛ عون المعبود وحاشية ابن القيم (٦/ ٣٢٨). كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دار النوادر – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، الناشر: دار



**القول الثاني**: ذهب جمهور أهل العلم إلى إباحة صيامه لمن كان له عادة صيام في أيام التطوُّع والنوافل، مثل يومَي الإثنين والخميس ووافق يوم الشك صيام تطوُّع، أو كان صيامه بسبب قضاء واجب فائت، أو كان بنيَّة أداء كفارة أو نذرٍ ونحو ذلك[١].

**القول الثالث**: ذهبت طائفة من السلف إلى النهي عن صيام يوم الشك مطلقًا؛ وذلك لضرورة الفصل بفطر قبل البدء بصوم شهر رمضان[٢].

**القول الرابع**: كره بعض السلف صوم يوم الشك بنيَّة التطوُّع المطلَق، بينما لم يرَ الإمام مالك- رحمه الله- بأسًا ولا حرجًا في ذلك، وذهب الإمام الشافعي- رحمه الله- إلى التفريق في المسألة، فأباحه بحق من وافق عادة صيام عنده دون سواه[٣].

**وخلاصة القول**: أن أكثر المحقِّقين من أهل العلم ذهبوا إلى النهي عن تقديم شهر رمضان بصوم يوم أو يومين، إلَّا لمن كانت عادته صيامه لموافقته لسُنَّة راتبة، واستندوا في ذلك لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا تقْدُموا رمضانَ بصومِ يومٍ ولا يومينِ، إلَّا رجلٌ كان يصومُ صومًا، فلْيصمْه". رواه البخاري ومسلم[٤].

وأختم كلامي بسؤال وُجِّه لسماحة الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- عن صيام يوم الشك فقال: وأمَّا صيام يوم الشك، وهو يوم الثلاثين من شعبان، إذا كانت الليلة ليلة الثلاثين مغيمة أو فيها ما يمنع رؤية القمر، فإنه منهيٌّ عنه، لقول عمار بن ياسر- رضي الله عنه-:" من صام اليوم الذي يشكُّ فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم". رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه[٥][٦].

---

الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.

(١) ينظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٢/ ٥٥٣)؛ لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٤٤).

(٢) ينظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٧/ ٣٣٥).

(٣) نظر: كشف اللثام شرح عمدة الأحكام (٣/ ٤٨٥).

(٤) ينظر تفصيل المسألة في: لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٤٣- ١٤٤)؛ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٧/ ٣٣٥).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٨) برقم (١٩١٤) كتاب الصوم باب: لا يتقدم رمضان بصوم يوم ولا يومين. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٦٢) برقم (١٠٨٢) كتاب الصيام باب لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين.

(٦) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٣٠٠) برقم (٢٣٣٤) كتاب الصوم باب كراهية صوم يوم الشك. والترمذي في جامعه (٣/ ٦١) برقم (٦٨٦) أبواب الصوم باب ما جاء في كراهية صوم يوم الشك. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٢٣) برقم (٢٥٠٩) كتاب الصيام، صيام يوم الشك. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٢٧) برقم (١٦٤٥) كتاب الصيام باب ما جاء في صيام يوم الشك. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ١٢٥).

## ٢٩ شعبان: السلام آداب وأحكام

قد شرع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لنا تحية تُمَيِّزنا عن غيرنا، ورتَّب على فعلها الثواب، وجعلها حقًّا من حقوق المسلم على أخيه، فتحوَّلت هذه التحية من عادة من العادات المجرَّدة إلى عمل يفعله العبد تقرُّبًا إلى الله تعالى، واستجابة لأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، والسلام هو التحية الإسلامية التي يُحيي المسلمون بها بعضهم بعضًا، وهي تحيتهم في الدنيا والآخرة، وتحية الملائكة لأهل الجنة؛ فلا يصحُّ أن تُبدَّل هذه التحية العظيمة بعبارات أخرى لا تُؤدِّي ما تُؤدِّيه تحية الإسلام المباركة. مثل: صباح الخير، أو مساء الخير، أو مرحبًا، أو غير ذلك، ممَّا قد يستعمله بعض الناس جهلًا أو إعراضًا، وتحية الإسلام هي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هذا أكملها، وأقلُّها: السلام عليكم، والسلام سُنَّة مُؤَكَّدة، وردُّه واجبٌ عينًا، إذا قُصِد به شخص واحد، وعلى الكفاية إن قُصِد به جماعة، فإن ردَّ جميعهم فهو أفضل. وللسلام المنزلة العالية في الإسلام، حيث أمرنا الله به، فقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾(١)، وحثَّنا عليه رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان الأمر بإفشاء السلام من أوَّل الأشياء التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة، فعن عبد الله بن سلام- رضي الله عنه- قال:" لما قدمَ النَّبيُّ- صلى الله عليه وسلم- المدينةَ؛ انجَفلَ النَّاسُ قِبلَهُ، وقيلَ: قد قدمَ رسولُ اللَّهِ، قد قدمَ رسولُ اللَّهِ، قد قدمَ رسولُ اللَّهِ ثلاثًا، فَجِئْتُ في النَّاسِ، لأنظرَ، فلمَّا تبيَّنتُ وجهَهُ، عرفتُ أنَّ وجهَهُ ليسَ بوَجهِ كذَّابٍ، فَكانَ أوَّلُ شيءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ، أن قالَ: يا أيُّها النَّاسُ؛ أفشوا السَّلَامَ، وأطعِموا الطَّعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصلُّوا باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ، تدخلوا الجنَّةَ بسَلامٍ". رواه الترمذي وابن ماجه(٢).

وبيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الإيمان لا يكمل إلا بالتحابِّ، وإن أعظم شيء يُعين على هذا التحابِّ هو إفشاء السلام لمن عرفت ومن لم تعرف، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال:

---

(١) النساء: ٨٦.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٦٥٢) برقم (٢٤٨٥) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٨٣) برقم (٣٢٥١) كتاب الأطعمة باب إطعام الطعام. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٧/ ٢٥١).



قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم". رواه مسلم(١).

والسلام في أصل اللغة هو السلامة، ولهذا سُمِّيت الجنة بدار السلام؛ لأنها دار السلامة من الآفات، ولعظيم معاني السلام كان من أسماء الله الحسنى السلام؛ لأنه سبحانه سالم من الآفات والنقائص، ولأنه هو الذي يهب السلام للناس، وكان من صفات عباد الرحمن أنهم إذا خاطبهم الجاهلون قالوا: سلامًا، وكان المفلح من العباد مَن جاء الله يوم القيامة بقلب سليم.

ولقد تكاثر ورود لفظ السلام في القرآن والسُّنَّة مُتنوِّعًا مُتفنِّنًا في اللفظ والمعنى، ولعظيم منزلته فقد شُرِع للناس أن يُلقوا على أنفسهم السلام إذا تلاقوا لتحُلَّ عليهم السكينة، وتغشاهم الطمأنينة، وتنتشر بينهم المحبَّة، وكلما ابتعدوا عن السلام نقصت المحبَّة بينهم، قال أهل العلم:" معنى سلامٌ عليكم، سلمتَ مني أن أضرَّك أو آذيك بظاهري وباطني"(٢).

ومن فوائد إفشاء السلام: حصول الألفة، فتتآلف الكلمة، وتعمُّ المصلحة، وتقع المعاونة على إقامة شرائع الدين وإخزاء الكافرين، وهي كلمة إذا سُمِعتْ أخلصت القلب الواعي لها غير الحقود إلى الإقبال على قائلها(٣).

ولأهمِّيَّة السلام فإن له آدابًا يجب على الجميع معرفتها؛ منها:

الراكب يُسلِّم على الماشي: قال صلى الله عليه وسلم:" يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ علَى الماشِي، والماشِي علَى القاعِدِ، والقَلِيلُ علَى الكَثِيرِ". رواه البخاري ومسلم(٤)، قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: وقد كان من هدي النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه يُسلِّم على الصبيان إذا مرَّ بهم. وفي ذلك فائدة عظيمة، منها التواضع، أن الإنسان يضع نفسه إذا سلَّم على من هو دونه، ومنها الرحمة؛ لأنَّ سلامك على الصغار نوع

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٧٤) برقم (٥٤) كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها.

(٢) ينظر: فيض القدير (٢/ ٢٣). فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

(٣) لم أقف عليه عند الطبراني، وقد عزته الألباني إليه في عدد من كتبه، ينظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ٢٤١) وذكر أن إسناده حسن.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٢) برقم (٦٢٣٢) كتاب الاستئذان باب: تسليم الراكب على الماشي. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٣) برقم (٢١٦٠) كتاب السلام باب يسلم الراكب على الماشي والقليل على الكثير.



من الرحمة، ومنها: تعويد السلام لهؤلاء الصبيان، يعني: أنَّ الصبي يعرف أنَّ شعار المسلمين أن يُسلِّم بعضهم على بعض، فيأخذ من هذا أدبًا وخُلُقًا، ينتفع به في شبابه وبعد هرمه[١].

ومن الآداب أيضًا: الإحسان في الردِّ على السلام؛ يُستحبُّ للمسلم أن يردَّ السلام بتحيَّةٍ أحسنَ منها؛ كأن يقول:" وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته"، وله أن يردَّ بنفس التحيَّة التي سلَّم بها عليه الآخر، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾[٢]، قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: التحيَّة هي: اللفظ الصادر من أحد المتلاقيين على وجه الإكرام والدعاء، وما يقترن بذلك اللفظ من البشاشة ونحوها. وأعلى أنواع التحيَّة ما ورد به الشرع، من السلام ابتداء وردًّا؛ فأمر تعالى المؤمنين أنَّهم إذا حُيُّوا بأي تحيَّة كانت؛ أن يردُّوها بأحسن منها لفظًا وبشاشة، أو مثلها في ذلك، ومفهوم ذلك النهي عن عدم الردِّ بالكلية أو ردِّها بدونها.

ويُؤخَذ من الآية الكريمة الحثُّ على ابتداء السلام والتحيَّة من وجهين؛ أحدهما: أن الله أمر بردِّها بأحسن منها أو مثلها، وذلك يستلزم أنَّ التحيَّة مطلوبة شرعًا. الثاني: ما يُستفاد من أفعل التفضيل وهو "أحسن" الدالُّ على مشاركة التحيَّة وردُّها بالحسن، كما هو الأصل في ذلك[٣].

كذلك من الآداب: السلام عند دخول البيت؛ قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٤]. ومن الآداب مصاحبة السلام بشاشة الوجه وانشراح الصدر، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم:"لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ". رواه مسلم[٥].

---

(١) تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد (ص: ١٤٤). تفسير الحجرات – الحديد، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٢) النساء: ٨٦.

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٩١).

(٤) النور: ٦١.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٦) برقم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.



والتسليم ثلاثًا إذا لم يُسمَع سلامه، حيث يُكرِّر المسلم سلامه إذا لم يسمعه من أُلقِي عليه السلام، فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان:" إِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عليهم؛ سَلَّمَ عليهم ثَلَاثًا". رواه البخاري(١).

ومن الآداب عدم السلام والردِّ أثناء قضاء الحاجة؛ فقد كره النبي صلى الله عليه وسلم ردَّ السلام وذكْر الله واسمه السلام أثناء قضاء الحاجة، فعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنه-:" أنَّ رَجُلًا مَرَّ ورَسولُ اللهِ- صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ- يَبُولُ، فَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرُدَّ عليه". رواه مسلم(٢).

وإلقاء السلام قبل مفارقة المجلس ومغادرته من السُّنَّة، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إذا انتهَى أحدُكم إلى مجلِسٍ فليُسلِّم، فإنَّ بَدا له أن يجلِسَ فليجلِس، ثمَّ إذا قامَ فليُسلِّم، فلَيسَتِ الأولَى بأحقِّ من الآخرةِ". رواه أحمد وأبو داود والترمذي(٣).

والجهر بالسلام وردُّه؛ ولقد كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في السلام أن يرفع صوته ويجهر به، وكذلك في الردِّ على من سلَّم عليه، وإنَّ من معاني إفشاء السلام؛ إظهاره وإشهاره بين الناس، وذلك بأن يكون مسموعًا. ومن السُّنَّة إلقاء السلام، بل هو من حقِّ المسلم على أخيه المسلم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:" حَقُّ المسْلِمِ علَى المسْلِمِ سِتٌّ، قيلَ: ما هُنَّ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: إذا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عليه... الحديث". رواه مسلم(٤)، وكذلك فَعَلَ النبي صلى الله عليه وسلم، وفَعَلَ صحابته- رضوان الله عليهم-، وشهرة ذلك تُغنينا عن إيراد النصوص.

**أخيرًا**: على المسلمين أن يلتزموا عمليًّا بهذه السُّنَّة الطيِّبة، وأن يفشوا السلام بينهم في كل مكان في السفر أو الحضر، في الرخاء أو البأساء، لينعموا بالسلام، وينتشر الأمن والأمان، والعدل والاستقرار، ولهذا لم يُحسَد المسلمون على شيءٍ مثلما حُسِدوا على السلام.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣٠) برقم (٩٥) كتاب العلم باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٨١) برقم (٣٧٠) كتاب الحيض باب التيمم.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٢/ ٤٧) برقم (٧١٤٢). وأبو داود في سننه (٤/ ٣٥٣) برقم (٥٢٠٨) كتاب الآداب باب في السلام إذا قام من المجلس. والترمذي في جامعه (٥/ ٦٢) برقم (٢٧٠٦) أبواب الاستئذان والآداب باب ما جاء في التسليم عند القيام وعند القعود. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٣٥) برقم (١٠١٠٢) كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا انتهى إلى قوم فجلس إليهم. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٢٠٦).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٥) برقم (٢١٦٢) كتاب السلام باب من حق المسلم للمسلم رد السلام.

## ٣٠ شعبان

## صلاة التراويح

صلاة التراويح فرصة للمسلم لقيام رمضان إيمانا واحتسابا وفرصة لأن يُكثر من دعائه في شهر رمضان الذي تُجاب فيه الدعوات، وتُفتَّح فيه أبواب الجنات، وتُضاعَف فيه الحسنات، وتُقال فيه العثرات، وتُرفَع فيه الدرجات، وتُغفَر فيه السيِّئات، وفيه ليلة خيرٌ من ألف شهر، ولهذا حثَّنا النبي صلى الله عليه وسلم على قيام الليل، كما أنَّه لم يُحدِّد عددًا من الركعات فيه، فمن أحبَّ أن يُصلِّي إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة، أو ثلاثًا وعشرين، أو أكثر من ذلك أو أقل فلا حرج عليه، وفي ذلك إشارة من الرسول صلى الله عليه وسلم بأهمية قيام الليل، وكثرة الدعاء في ليالي رمضان.

والتراويح هي عبارة عن صلاة يُؤدِّيها المسلمون بعد ما ينتهون من صلاة العشاء مباشرة، وهي تُصلَّى في جماعة بالمساجد في شهر رمضان، وشُرِعت في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم بناء على ظاهر المنقول بشأنها، وكانت بداية الأمر جماعة؛ ثم رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يُصليها جماعة بالمسلمين؛ فقد صحَّ من حديث عائشة- رضي الله عنها- أنَّه صلى الله عليه وسلم صلَّاها بالناس ثلاث مرَّات، وفي اليوم الرابع لم يخرج إليهم، فسأله بعض أصحابه عن ذلك، فقال:" خَشِيتُ أنْ تُفْتَرَضَ علَيْكُم، فَتَعْجِزُوا عَنْهَا، فَتُوُفِّيَ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم والأمْرُ علَى ذلكَ". رواه البخاري ومسلم(١).

وتُعدُّ صلاة التراويح من شعائر الإسلام العظيمة التي تُؤدَّى في شهر رمضان المبارك، وقد أجمع العلماء على أنَّها سُنَّة مُؤكَّدة، فقد صلَّاها النبي صلى الله عليه وسلم وصلَّاها الصحابة معه جماعة أيامًا، ثم جرت السُّنَّة على أن يُصلِّيها المسلمون مُنفرِدين، واستمرَّ الأمر كذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي عهد عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- رآهم يُصلُّون مُتفرِّقين، ورأى أن بعضهم لا يُحسِن القراءة؛ فجمَعَهم على إمام، ورأى أن ذلك أفضل من صلاتهم مُتفرِّقين، وكان ذلك أول اجتماع للمسلمين على إمام واحد في صلاة التراويح باستثناء تلك الليالي التي صلَّاها المسلمون جماعة بإمامة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٥) برقم (٢٠١٢) كتاب صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٢٤) برقم (٧٦١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح.



لماذا سُمِّيت صلاة التراويح بهذا الاسم؟ ذكر الإمام ابن حجر العسقلاني في شرحه لصحيح البخاري أن تسمية صلاة التراويح بهذا الاسم ترجع إلى ما كان من فِعْل الصحابة- رضي الله عنهم؛ إذ كانوا يستريحون في قيام رمضان، وذلك أول ما شُرِعت تلك الصلاة؛ فسُمِّيت تراويح جمع ترويحة، وهي المرَّة الواحدة من الراحة كتسليمة من السلام[١]، وهي في الأصل اسم للجلسة مطلقًا، ثم سُمِّيت بها الجلسة التي بعد أربع ركعات في ليالي رمضان لاستراحة الناس بها، ثم سُمِّيت كل أربع ركعات ترويحة مجازًا، وقد ذهب الحنفية إلى أن حكم هذه الاستراحة مندوب، وعلى المصلِّي إشغالها بالسكوت، أو الصلاة، أو التسبيح، أو قراءة القرآن[٢]، في حين يرى الحنابلة بجواز ترك الاستراحة بعد كل أربع ركعات، ولا يُسنُّ لمن جلس للاستراحة أن يدعو بدعاءٍ مُعيَّنٍ، وقيل: إنها مأخوذة عن السلف وأهل الحرمين، فإنَّ أهل مكة يطوفون سبعًا بين كل ترويحتين، وأخرج البيهقي في سُننه بسنده عن عائشة- رضي الله عنها- قالت:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلِّي أربع ركعات في الليل[٣]، ثم يتروَّح، فأطال حتى رحمتُه، فقلتُ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله؛ قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، قال: أفلا أكون عبداً شكورًا"[٤].

وممَّا جاء في فَضل صلاتها أنّها سببٌ في مغفرة الذُّنوب؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" مَن قامَ رمضانَ إيمانًا واحتِسابًا؛ غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ مِن ذنبِهِ". رواه البخاري ومسلم[٥]، كما أنَّ من صلَّاها

---

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٥٠).

(٢) ينظر: المبسوط للسرخسي (٢/ ١٤٥)؛ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١/ ٢٩٠). المبسوط، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة — بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٣) ينظر: مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (١/ ٥٦٤). مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، المؤلف: مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيبانى مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ١٢٤٣هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٤) ينظر: المغني لابن قدامة (٢/ ٦٠٤). المغني، المؤلف : أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى : ٦٢٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، ط: عالم الكتب، الرياض – السعودية، الطبعة: الثالثة، سنة النشر: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٥) رواه البيهقي في السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ٣٣٢) برقم (٤٦٨٥). السنن الكبير، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (الدكتور / عبد السند حسن يمامة)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.



مع الإمام وبقي معه حتى ينصرف؛ كتب الله تعالى له أجر قيام الليل جميعه، قال النبي صلى الله عليه وسلم:" مَن قامَ معَ الإمامِ حتَّى ينصرفَ فإنَّهُ يعدلُ قيامَ ليلةٍ". رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه[١].

واتَّفق جمهور أهل العلم على مشروعية الجماعة في صلاة التراويح؛ لما ثبت من فعل النبي- عليه الصلاة والسلام-، ولفعْل الصحابة الكرام منذ زمن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-، ولاستمرار العمل بذلك عبر التاريخ الإسلامي حتى الآن، بل ذهب أهل العلم إلى أنَّ أداء صلاة التراويح جماعة سُنَّة، وفصَّلوا في ذلك؛ فالحنفية قالوا بأنَّ صلاة التراويح بالجماعة سُنَّة على الكفاية في الأصح، فإنْ تركها الكل فقد أساءوا، ولو تركها رجل من أفراد الناس وأدَّاها في بيته فقد ترك الفضيلة، حتى وإن كانت صلاته في بيته جماعة؛ فإنَّه لا يتحصَّل على فضل جماعة المسجد[٢]، أما المالكية فقد ندبوا صلاة التراويح في البيت؛ لحديث النبي صلى الله عليه وسلم بتفضيل صلاة السُّنَّة في البيت إن لم يكن هناك تعطيل لها في المساجد، وأن لا يكون تركها تكاسلًا وقعودًا عن الصلاة نتيجة عدم خروجه إلى المسجد، ويرى الشافعية سُنيَّة الجماعة في صلاة التراويح[٣]، أما الحنابلة فيرون تفضيل صلاتها جماعة على صلاتها فُرادى، وإن تعذَّر عليه أن يُصلِّيها في الجماعة؛ فله أن يُصلِّيها وحده[٤].

ووقت صلاة التراويح يرى جمهور الفقهاء أن وقتها يكون من بعد صلاة العشاء، وقبل صلاة الوتر؛ لأنَّها سُنَّة تابعة للعشاء، ويمتدُّ وقتها إلى قبل طلوع الفجر؛ لفعْل الصحابة، وقد نقِل ذلك

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٧) كتاب الإيمان باب: تطوع قيام رمضان من الإيمان. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٢٣) برقم (٧٥٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ١٦٠) برقم (٨٠٦) أبواب الصوم باب ما جاء في قيام شهر رمضان. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ١١٤) برقم (١٣٠٠) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، قيام شهر رمضان. وابن ماجه في سننه (١/ ٤٢٠) برقم (١٣٢٧) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في قيام شهر رمضان. والحديث قال صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديثمنار السبيل (٢/ ١٩٣).

(٣) ينظر: المحيط البرهاني في الفقه النعماني (١/ ٤٥٧). المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، المؤلف: أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٤) ينظر: تحبير المختصر وهو الشرح الوسط لبهرام على مختصر خليل (١/ ٣٩٣)؛ شرح مختصر خليل للخرشي (٢/ ٧). تحبير المختصر وهو الشرح الوسط على مختصر خليل في الفقه المالكي، المؤلف: تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميري (المتوفى: ٨٠٣هـ)، المحقق: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب . د. حافظ بن عبد الرحمن خير، الناشر: مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م. شرح مختصر خليل للخرشي، المؤلف: محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (المتوفى: ١١٠١هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة – بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.



عنهم(١)، ومن صلَّاها بعد المغرب وقبل العشاء فإنها لا تُجزئ عن التراويح، وتكون بمقام النافلة كما يرى المالكية(٢)، وفي روايةٍ عند الحنفية أنها تُجزئ عن صلاة التراويح؛ لأنَّ وقتها جميع الليل واسمها قيام الليل، وأفضل وقتها يكون بعد ثلث الليل أو نصفه عند الحنفية والشافعية، وفي رواية عند الحنفية أنها تُكرَه بعد نصف الليل؛ لأنَّها تبعٌ للعشاء، والأصح عندهم أنَّها لا تُكرَه، والأفضل تأخيرها إلى آخر الليل، ويرى الحنابلة أنَّ أفضل أوقاتها أول الليل؛ اتِّباعًا لفعل الناس في عهد عمر- رضي الله عنه-(٣)، وهي تصحُّ قبل الوتر وبعده دون كراهة، إلَّا أنَّ الأفضل أن تكون قبله باتفاق الجمهور، وخالف المالكية في ذلك فقالوا بأنها تُصلَّى قبل الوتر وبعد العشاء(٤)، ويُكرَه تأخيرها عن الوتر؛ لقوله- عليه الصلاة والسلام-:" اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ باللَّيْلِ وِتْرًا". رواه البخاري ومسلم(٥)، وإن خرج وقتُها فإنَّها لا تُقضَى على قول الجمهور، في حين يرى الشافعية جواز قضائها.

وأمَّا عن عددها؛ فقد فصَّل ذلك الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- فقال: وأمَّا عددها فإحدى عشرة ركعة، لما في الصحيحين عن عائشة- رضي الله عنها- أنها سُئِلت كيف كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان؟ فقالت:" ما كان يزيد في رمضان ولا

---

(١) ينظر: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء (٢/ ١٤٤). حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، المؤلف: سيف الدين أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي القفال، حققه وعلق عليه: الدكتور ياسين أحمد إبراهيم درادكه، الأستاذ المساعد في كلية الشريعة – الجامعة الأردنية، الناشر: مكتبة الرسالة الحديثة – المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨م.

(٢) ينظر: الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (١/ ١٤٧). الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨هـ)، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان.

(٣) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١/ ٢٨٨)؛ الجوهرة النيرة على مختصر القدوري (١/ ٩٩)؛ البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري (٢/ ٧٣). الجوهرة النيرة، المؤلف: أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي الزَّبِيدِيّ اليمني الحنفي (المتوفى: ٨٠٠هـ)، الناشر: المطبعة الخيرية، الطبعة: الأولى، ١٣٢٢هـ. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، المؤلف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ)، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد ١١٣٨ هـ)، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية – بدون تاريخ.

(٤) ينظر: ضوء الشموع شرح المجموع (١/ ٤٣٣). ضوء الشموع شرح المجموع في الفقه المالكي، المؤلف: محمد الأمير المالكي، بحاشية: حجازي العدوي المالكي، المحقق: محمد محمود ولد محمد الأمين المسومي، الناشر: دار يوسف بن تاشفين – مكتبة الإمام مالك[موريتانيا – نواكشوط]، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٥) ينظر: الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (١/ ١٤٧).

غيره على إحدى عشرة ركعة[١]" رواه البخاري ومسلم، وإن صلَّاها ثلاث عشرة ركعة فلا بأس، لقول ابن عباس- رضي الله عنهما-:" كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة" يعني من الليل، رواه البخاري،[٢] والإحدى عشرة هي الثابتة عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- كما في الموطأ بإسنادٍ مِن أصح الأسانيد[٣]، وإن زاد على ذلك فلا بأس، لقول النبي صلى الله عليه وسلم حين سُئل عن صلاة الليل قال:

"مثنى، مثنى"[٤] رواه البخاري ومسلم[٥]، ولم يُحدِّد، وقد ورد عن السلف في ذلك أنواع، والأمر في ذلك واسع لكن الأفضل الاقتصار على ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي الإحدى عشرة أو الثلاث عشرة، ولم يصح أنَّ النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يُصلِّي هو أو أحد من الخلفاء ثلاثًا وعشرين، بل الثابت عن عمر- رضي الله عنه-إحدى عشرة، حيث أمر أُبي بن كعب وتميمًا الداري- رضي الله عنهما- أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة، وهذا هو اللائق بمثل عمر- رضي الله عنه- أن تكون سيرته في هذا سيرة رسول الله- صلى الله عليه وسلم-. ولا نعلم أنَّ الصحابة- رضي الله عنهم- زادوا على ثلاث وعشرين ركعة، بل الظاهر خلاف ذلك، وقد سبق قول عائشة- رضي الله عنها- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم " ما كان

---

(١) ينظر: لوامع الدرر في هتك استار المختصر (٢/ ٣٧٢). لوامع الدرر في هتك أستار المختصر [شرح «مختصر خليل» للشيخ خليل بن إسحاق الجندي المالكي (ت: ٧٧٦ هـ)]، المؤلف: محمد بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي (١٢٠٦ - ١٣٠٢هـ)، تصحيح وتحقيق: دار الرضوان، راجع تصحيح الحديث وتخريجه: اليدالي بن الحاج أحمد، المقدمة بقلم حفيد المؤلف: الشيخ أحمد بن النيني، الناشر: دار الرضوان، نواكشوط- موريتانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(٢) ) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٢٥) برقم (٩٩٨) أبواب الوتر باب: ليجعل آخر صلاته وترًا. ومسلم في صحيحه (١/ ٥١٧) برقم (٧٥١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الليل مثنى مثنى، والوتر ركعة من آخر الليل.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٥) برقم (٢٠١٣) كتاب صلاة التراويح باب: فضل من قام رمضان. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٠٩) برقم (٧٣٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الليل، وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل، وأن الوتر ركعة، وأن الركعة صلاة صحيحة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥١) برقم (١١٣٨) كتاب التهجد باب: كيف كان صلاة النبي صلى الله عليه وسلم؟ وكم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل؟.

(٥) ينظر: موطأ مالك (٢/ ١٥٩). الموطأ، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي — الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٠٢) برقم (٤٧٢) كتاب الصلاة باب الحلق والجلوس في المسجد. ومسلم في صحيحه (١/ ٥١٦) برقم (٧٤٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الليل مثنى مثنى، والوتر ركعة من آخر الليل.

يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة"، وإما إجماع الصحابة- رضي الله عنهم- فلا ريب أنَّه حجَّة؛ لأنَّ فيهم الخلفاء الراشدين الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم باتِّباعهم، ولأنَّهم خير القرون من هذه الأمَّة[١].

**والخلاصة** أنَّ الخلاف في عدد ركعات التراويح ونحوها ممَّا يسوغ فيه الاجتهاد، فلا ينبغي أن يكون مثارًا للخلاف والشقاق بين الأُمَّة، خصوصًا وأنَّ السلف اختلفوا في ذلك، وليس في المسألة دليل يمنع جريان الاجتهاد فيها، وما أحسن ما قال أحد أهل العلم لشخص خالفه في الاجتهاد في أمر سائغ: إنَّك بمخالفتك إيَّاي قد وافقتَني، فكلانا يرى وجوب اتِّباع ما يرى أنَّه الحقُّ حيث يسوغ الاجتهاد.

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٤/ ١٨٧).




تم بحمد الله